الجامعـــة الاردنيـــة
كليـــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابهـــا

عـدي بـن الرقـاع العاملـــي
حياتـه وشـــعره

٢٦٥٥٦٦

إعـــداد
تحســين محمـد الصـــلاح

بإشـــراف
الأستاذ الدكتور حســين عطـــوان

* قدّمت هـذه الرسـالة استكمالا لمتطلّبات درجـة الماجستـــير في قسم اللغة العربيـة وآدابهـا بكلية الآداب في الجامعة الأردنيـة *

١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	أ ـ د
الفصل الأول : سيرة عدي بن الرقاع:	١ - ٢٧
أولاً : قبيلته :	١ - ١٢
أ ـ قبيلة عاملة .	١ - ٥
ب ـ ديار عاملة .	٦ - ٧
جـ ـ عاملة في الجاهلية .	٨ - ٩
د ـ ديانتها .	١٠
هـ ـ عاملة بعد الفتح الإسلامي .	١١ - ١٢
ثانياً : سيرته :	١٣ - ٢٧
أ ـ اسمه ونسبه .	١٣
ب ـ مولده .	١٤
جـ ـ أسرته .	١٥ - ١٧
د ـ نشأته .	١٨
هـ ـ ثقافته .	١٩ - ٢١
و ـ صفاته وأخلاقه :	٢٢ - ٢٧
١ . الإخلاص والوفاء .	٢٣ - ٢٤
٢ . الاعتداد بالنفس .	٢٥
٣ . الصبر والجلد .	٢٦
ز ـ وفاته .	٢٧
الفصل الثاني : علاقات عدي ومواقفه :	٢٨ - ٤٨
أولاً : الموقف السياسي :	٢٨ - ٣٣
أ ـ علاقات عدي بالخلفاء والأمراء الأمويين	٣٤
ب ـ علاقته بعبد الملك بن مروان .	٣٤ - ٣٦
جـ ـ علاقته بالوليد بن عبد الملك وأبنائه .	٣٦ - ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د ـ علاقته بسليمان بن عبد الملك . ٤١

هـ ـ علاقته بعمر بن عبد العزيز . ٤٢

ثانياً : علاقته بالشعراء المعاصرين : ٤٣-٤٨

أ ـ علاقته بجرير . ٤٣-٤٦

ب ـ علاقته بكثير بن عبد الرحمن . ٤٧-٤٨

جـ ـ علاقته بالراعي النميري وغيره . ٤٨

الفصل الثالث : أغراض شعره : ٤٩-١٠٧

أولاً : المديح : ٥٠-٦١

أ ـ مديحه في عبد الملك بن مروان . ٥١-٥٢

ب ـ مدائحه في الوليد بن عبد الملك وابنه عمر . ٥٣-٥٨

جـ ـ مدائحه في عمر بن عبد العزيز . ٥٩-٦٠

د ـ مديحه لرجالات عصره . ٦١

ثانياً : الغزل . ٦٢-٦٨

ثالثاً : الوصف : ٦٩-١٠١

أ ـ وصف الطبيعة الساكنة . ٦٩-٧٣

ب ـ وصف بيئة الشام . ٧٤-٧٦

جـ ـ وصف الظعن . ٧٧-٧٩

د ـ وصف حيوان الصحراء : ٨٠-٩٣

١ . وصف الناقة . ٨٠-٨٤

٢ . وصف الحمار الوحشي . ٨٥-٨٧

٣ . وصف القطا . ٨٨-٨٩

٤ . وصف الخيل . ٩٠-٩٣

هـ ـ وصف الشباب والشيب . ٩٤-٩٧

و ـ وصف الخمر . ٩٨-١٠١

رابعاً : الفخر . ١٠٢-١٠٤

خامساً : المواعظ والحكم . ١٠٥-١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : دراسة فنية لشعره :	١٠٨-١٣٥
أولاً : بنية القصيدة .	١٠٩-١١٧
ثانياً : اللغة .	١١٨-١٢٤
ثالثاً : الصورة الفنية .	١٢٥-١٣٥
الخاتمة .	١٣٦-١٣٨
المصادر والمراجع .	١٣٩-١٦٣
خلاصة البحث باللغة الإنجليزية .	١٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى والديّ الكريمين اللذين قال الحق في شأنهما

"وبالوالدين إحسانا"

إلى إخوتي وأعزائي...

إلى زوجتي نوال وابنيّ آلاء وهناء

أهدي هذه الرسالة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـر وتـقـديـــــــــر

أُتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أُستاذي الفاضل الأُستاذ الدكتور حسين عطوان الذي تعهدني بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر ، وتحمل عناء قراءة فصول هذه الرسالة وتصحيحها فله مني التحية والتقديـــــــــر .

وأرى لزاماً علي أن أقدم جزيل شكري ووافر تقديري إلى زملائي في مكتبة الجامعة الأردنية ، الذين أتاحوا لي فرصة الاطلاع على المصادر والمراجع والإفادة منها وقدموا لي كل العون وأخص بالذكر زملائي في دائرة التزويد ، والإعارة ، والمراجـــــع .

جزاهم الله كل خـــــــــير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــة

ما تزال حياة الشعر في بلاد الشام في العصر الاموي غامضة لم تدرس درساً علمياً شاملاً، على نحو ما درست حياة الشعر في البيئات الاخرى في هذا العصر، مثل بيئـــة الكوفة والبصرة وخراسان. ولذلك رأيت أن أدرس حياة عدي بن الرقاع الشامي وشعـــره لعلّي أجلو جانباً محدوداً من حياة الشعر في بلاد الشام، وأكشف عن جوانب شخصيته المختلفـــة.

وشعر عدي يلقي الضوء على جوانب مهمّة من الحياة السياسية والثقافية فـــي العصر الاموي، ويكشف عمّا كان يدور في قصور الخلفاء الامويين من مجالس أدبية ومساجلات شعريّة، ويبيّن مدى اهتمام خلفائهم بجوانب المعرفة المختلفـــة.

ولم تدرس حياة عدي وشعره دراسة كافية من قبل الدارسين إلّا دراسة الاستاذ خليل مردم التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١)، وقد أراد الاستاذ مردم بها التعريف بعدي وشعره، فتحدّث باختصار عن حياته وأخباره، وأثبت فـــي نهاية دراسته ما جمعه من شعره، ولم تأت هذه الدراسة على مختلف جوانب حيـــاة عدي وشـــعره.

وأما بقيّة الباحثين الذين تحدّثوا عنه في كتبهم مثل الاستاذ محمد عبد العزيـز الكفراوي (٢)، والشيخ عبد الجواد رمضان (٣)، والدكتور عمر فرّوخ (٤)، والسيد محسن الامين العاملي (٥)، والدكتور مصطفى الشكعة (٦)، والدكتور شوقي ضيف (٧)، فقـد

---

(١) أنظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الخامس عشر، الجزء الاول ص ٢٤٥ والجزء الثاني ص ٣٤٠.
(٢) محمد عبد العزيز الكفراوي: تاريخ الشعر العربي ١: ١٠٤.
(٣) مجلة الازهر، المجلد الثاني والعشرون ١٩٥٠ ص ٨١٤.
(٤) د. عمر فروخ: تاريخ الادب العربي ١: ٥٦٧.
(٥) محسن الامين العاملي: خطط جبل عامل ص ٤٢.
(٦) د. مصطفى الشكعة: رحلة الشعر من الاموية إلى العباسية ص ٢٤٥.
(٧) د. شوقي ضيف: العصر الإسلامي ص ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اقتصر حديثهم عن عدي على إيراد بعض أخباره وشعره ،وكانت دراساتهم له قصيرة وسريعة .

هذه الأسباب مجتمعة جعلتني أواصل البحث في حياة عدي وشعره ، وهي المحاولة الأولى لدراسته دراسة علمية وافية . وقد أقمتها على ما تجمّع لديّ من أخباره وشعره ،إذ بحثت عنها في المصادر المختلفة المخطوطة والمطبوعة ، فوجدت فيها إشارات كثيرة تشيد بالشاعر وشعره ،وتبيّن تميّزه عن غيره من الشعراء ،ووجدت فيها بعض الآراء النقدية التي تتعرّض لما في شعره من عيوب .

وكانت مهمّتي في هذا البحث شاقّة بسبب المشكلات التي واجهتني ،مثل قلّة ما كتب عنه ، وصعوبة الحصول على بعض أشعاره المخطوطة ،إذ حاولت الحصول على قطعة مخطوطة من ديوانه ،محفوظة في خزانة التاجر محمد الأمين الخانجي البحراني نزيل طهران ،عن طريق عدد من الناشرين الهنود الذين يرتحلون إلى طهران بين الفينة والأخرى ليبحثوا عن نوادر المخطوطات ، ولكنّهم لم يتمكنوا من العثور عليها،واتصلت بالدكتور حسين علي محفوظ في جامعة بغداد ،الذي يحتفظ بنسخة مصوّرة عن تلك القطعة لعلّه يزوّدني بصورة عنها ،ولكن دون جدوى ،واتصلت ببعض زملائه في جامعة بغداد ، أطلب منهم مساعدتي في الحصول على تلك الصورة ،ولكنّهم لم يتمكنوا من ذلك لأسباب تتعلّق بالدكتور محفوظ . فاضطررت إلى إقامة دراستي على ما جمعته من شعره ، وهو يزيد على ستمائة بيت .

وجاءت دراستي هذه في مقدمة وأربعة فصول ، تحدّثت في الفصل الأول عن قبيلة الشاعر وموطنها ومواقفها في الجاهلية والإسلام ، وبحثت في سيرة عدي من مختلف جوانبها ،فعرضت لمولده وأسرته وثقافته ووفاته .

وعرضت في الفصل الثاني لعلاقات عدي ومواقفه السياسية ،وبيّنت منزلته عند خلفاء بني أمية ،وانعكاس هذه المنزلة على حياته وشعره ،وتحدّثت عن علاقته بمعاصريه من الشعراء وغيرهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعقدت الفصل الثالث لدراسة موضوعات شعره ،فتحدّثت عن فن المدح على أنه أحد الاغراض المهمة التي طرقها واشتهر بها ،ثمّ عرضت لبقيّة أغراض شعره .

وخصّصت الفصل الرابع لدراسة شعره دراسة فنيّة ، فبحثت في بناء قصيدته ، وعرضت للغته وصوره الفنيّة .

وأما المصادر التي أقمت دراستي عليها فكثيرة متنوّعة ،وهي تتوزّع بين كتب التاريخ والانساب والتراجم وكتب البلدان ومعجمات اللغة والمجموعات الشعرية والكتب الادبية والنحوية والنقدية .

فمن الكتب التاريخية التي اعتمدت عليها تاريخ خليفة بن خياط ،والاخبار الطوال وتاريخ اليعقوبي ،وتاريخ الطبري ،ومروج الذهب . ومن كتب الانساب التي رجعت إليها نسب قريش ،وأنساب الاشراف ،ونسب عدنان وقحطان .

ومن كتب التراجم التي أفدت منها الشعر والشعراء ،والاغاني ،والمؤتلف والمختلف ، ومعجم الشعراء ،وتاريخ دمشق وعيون التواريخ .

ومن كتب البلدان التي انتفعت بها معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان . ومن معجمات اللغة التي عولت الصحاح ، والتكملة والذيل والصلة ،ولسان العرب ،وتاج العروس .

ومن الكتب الادبية والنقدية والنحوية التي عدت إليها البيان والتبيين ،والحيوان وعيون الاخبار ،والكامل للمبرّد ،والعقد الفريد ، وأمالي القالي ،وديوان المعاني ، والعمدة ،ونهاية الأرب، وشرح شواهد المغني ، وشرح أبيات مغني اللبيب .

وأهم هذه المصادر جميعاً هو كتاب الاغاني الذي يشتمل على أخبار كثيرة عن عدي ،وله فيه ترجمة جيّدة ،ومجموعة غير قليلة من الشعر ،ويليه في القيمة كتاب معجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلدان ، فهو مصدر مهم من مصادر شعره ،إذ أورد له أبياتا ومقطوعات كثيرة في معرض استشهاده بها على المواضع والبلدان الشامية .

وبعد فهذا عرض سريع لما بسطت في هذه الدراسة ، وأرى لزاما عليّ أن أقدّم أطيب الشكر ،وأجمل آيات الامتنان إلى أستاذي الدكتور **حسين عطوان** الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة ورعايتها منذ كانت فكرة إلى أن أصبحت دراسة، فكان لي من تشجيعه وتوجيهه السديد أصدق العون على إقامتها على هذه الصورة .

والله ولـيّ التوفيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : قبيلتـــــــه

أ- قبيلـة عاملـــة :-

عامِلَةُ قبيلة يمانية قحطانية ، وهي بطن من بطون سبأ وقد ذكر بعض النسابين أن عاملة من القبائل العدنانية ، وأنها انتسبت إلى القحطانية ، وذكر مصعب بن عبد الله الزبيري أن معد بن عدنان ولد نزاراً وقضاعة ، وأمهما مُعانة بنت جَوْشَم بن جُلْهُمَة ابن عامر بن عَوْف بن عدي بن دُبّ بن جُرْهُم ، وانتسبت قضاعة إلى حمير ، فقالوا : قُضاعَة ابن مالكِ بن حِمْيَر بن سَبأ ، وأمه عَكْبَرَة امرأة من سبأ خلف عليها معدّ ، فولدت قضاعة على فراش معد ، وزوّروا في ذلك شعراً فقالوا : (١)

يا أيُّها الدّاعي ادْعُنا وأبْشِـــر ... وكُنْ قُضاعيّاً ولا تَنَـــــزَّر
قُضاعَةُ بنُ مالكِ بن حِمْـــــيَر ... النَّسَبُ المَعْروفُ غيرُ المُنْكَـــر

وعاد مصعب مرّة أخرى ليؤكد أن جذاماً ولخماً وعاملة انتسبت في اليمن ، وأنها انتحلت شعراً على لسان أبي سَمّال الاسدي لتأكيد هذه النسبة ، وهو قوله : (٢)

أبْلِغْ جُذاماً ولَخْماً إنْ عَرَضْتَ بِهِـــمْ ... والقَوْمُ يَنْفَعُهُمْ عِلْماً إذا عَلِمُـــوا
والقَوْمُ عامِلَةُ الأثْرَيْنِ قُلْ لَهُـــمُ ... قَوْلاً سَتَبْلُغُهُ الوَسّاجَةُ الرُّسُـــمُ
لا أنْتُمُ في صَمِيمِ الحَقِّ إخْوَتُنـــا ... إذْ يُخْلَقِ الماءُ في الأرْحامِ والنَّسَمُ
لَمْ أرَ مِثْلَ الّذي يأتونَ جاءَ بِـــهِ ... قَوْمٌ يُذَرُّ على مَخْتومِهِم خُصَـــمُ

وعقب مصعب الزبيري بعد أن أورد هذا الشعر بقوله :

" وقال بعض من يعلم : لما قدم خالد بن عبد الله القسري أميراً على العراق ، ومعه قوم من جند الشام ، فيهم من لخم وجذام ، فأهدت لهم بنو أسد بن خزيمة ، فقالوا : أنتم قومنا ، وأحدثوا هذا الشعر إلّا بيتاً منه " لم أر مثل الذي يأتون جاء به " فإنه قديم ، لا يدري لمن هو ، ولا من عني بـــه " (٣) .

ونقل البلاذري عن بعض بني أسد ، أن أسد بن خزيمة ولد عمراً ، وأن عمراً ولـــد

---

(١) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٥ .
(٢) نسب قريش ص ٩ .
(٣) نسب قريش ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جذاماً ولخماً وعاملـــة (١).

ومن هذا القبيل ما رواه المرزباني من أن يزيد بن أسيد دعا قضاعة إلـــى التسضّر ،فقال كلثوم بن وائل بن سجاح الكلبي يردّ على هذه الدعـــوة: (٢)

مَنْ رَسول لنا إلى ابْنِ أُسَـــيدٍ ... بقوافي قصائدٍ مُحْكَمـــاتِ
شَازِراتٍ لكُلِّ قُـــوَّةِ حَـــقٍّ ... لِقَوًى باطِلِ الهَوى ناقِضـاتِ
مُكْذِباتٍ لِمَنْ وَرَدْنَ عَلَيْـــهِ ... مِنْ بَني الشّانِئينَ والشّانِئـاتِ
رُمْتَ أَمْراً مِنَ الأُمُورِ عَظيمـــاً ... مُتْعِبا في المَرامِ غَيْرَ مُواتـي

وله أيضا ينفي تمضّر قضاعة ،ويتغنّى بنسبه الصريح في اليمـــن :

فما وَلَدَتْنا وِلادَةً مُضَـــرٌ ... ولا لَنا في تَمَضُّـــرٍ أَرَبُ
وإنّنا للصَّمِيمُ مِنْ يَمَـــنٍ ... وفُرَّةُ النّاسِ حينَ نَنْتَسِبُ
بِنا تَنالُ المُلوكُ ما طَلَبَـــتْ ... وأَدْرَكَتْ ثارَها بِنا العَـرَبُ
كَمْ فيهِمُ مِنْ مُتَـــوَّجٍ مَلِـــكٍ ... ومِنْ خَطيبٍ لِسانُـــهُ ذَرِبُ (٣)

وأكّد المبرد أن عاملة من قبائل مرة بن أدد التي ينتهي نسبها إلى ســـبأ (٤)، وإلى ذلك أشار ابن دريد فقال: " عاملة بطن من بطون اليمن " (٥). أما ابن حـــزم فقال في حديثه عن خزيمة بن مدركة: " قال قوم وليس بشيء ، وأسدة بن خزيمـــة ، وأن لخماً وجذاماً وعاملة هم بنو أسدة بن خزيمة " (٦). فقد شكك ابن حزم في هـــذه النسبة حين قال: " وقال قوم وليس بشيء " ونسبهم في موضع آخر نسبة صحيحة فقـــال: " وبنو عاملة وهو الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن ســـبأ " (٧).

---

(١) البلاذري : أنساب الاشراف ١ : ٣٧ .
(٢) المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٤٥ .
(٣) المرزباني : معجم الشعراء ص ٢٤٦ .
(٤) المبـــرد : نسب عدنان وقحطان ص ٢٠ .
(٥) ابن دريد : الاشتقاق ص ١٥٨ .
(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١١ .
(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشكك القلقشندي أيضا في نسبة عاملة إلى مضر، فقال : " وتزعم نسابة مضر أنهم من ولد قاسط، والذين يذهبون هذا المذهب يعتمدون في رأيهم على قول الاعشى :

أعامِلَ حتّى متى تذهبين ... إلى غير والدِك الأكرم
ووالدُكم قاسطٌ فارجعوا ... إلى النَّسَبِ الأثلدِ الأقدم (١)

وكان في بداية حديثه عن عاملة قد نسبها إلى سبأ فقال : " بنو عاملة بطن من سبأ، وهم بنو عاملة بن سبأ " (٢) .

أما قوله وتزعم نسابة مضر، فقد أخذه عن الجوهري، ثمّ عاد فأكد نسبتهم إلى قحطان " فهم بنو عاملة، بطن من كهلان من القحطانية " (٣) . وجدد روح بن زنباع الجذامي الدعوة إلى نسبة قضاعة إلى القبائل العدنانية، فقام في أحد أيام الجمعة في خلافة يزيد بن معاوية وطلب منه أن يلحق قضاعة بقبائل معد بن عدنان، وأيده في هذه الدعوة عدي بن الرقاع فقال : (٤)

إنّا رَضينا وإنْ غابَتْ جماعَتُنا ... ما قالَ سَيِّدُنا رَوْحُ بنُ زِنْباعِ
يَرْعى ثمانينَ ألفًا كانَ مِثْلُهُمُ ... مما يُخالِفُ أحْياناً على الرّاعي

فتصدّى ناتل بن قيس بن حيان الجذامي لهذه الدعوة، ونفى هذه النسبة نفياً شديداً، وقال ليزيد بن معاوية : " يا أمير المؤمنين، زعم روح بن زنباع أنه من معد، ولسنا نعرف ذلك، ولكنّا من قحطان، يسعنا ما يسع قحطان، ويعجزنا ما يعجزهم " (٥) . بلغ هذا الحديث عدي بن الرقاع، فقال نافياً قوله الاوّل :

قَحْطانُ والدُنا الذّي نُدْعى لَهُ ... وأبو خُزَيْمَةُ خِنْدَفُ بنُ نِزارِ
أنَبيعُ والدَنا الذّي نُدْعى لَهُ ... بأبي مَعاشِرُ غائِبٍ مُتَوارِ
أضلالُ لَيْلٍ ساقِطٍ أكْنافُهُ ... في النّاسِ أعْذَرُ أمْ ضَلالُ نَهارِ (٦)

---

(١) القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ص١٠٦، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٣٣٢، ابن منظور : لسان العرب، مادة عمل .
(٢) قلائد الجمان ص١٠٦، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٣٢ .
(٣) نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ص ٣٣٣ .
(٤) ابوالفرج : الاغاني ٩ : ٣٠٨، النهشلي القيرواني : الممتع في صناعة الشعر ص١٦٧ .
(٥) الاغاني ٩ : ٣٠٩، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨ .
(٦) الاغاني ٩ : ٣٠٨، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان العربي حريصا على نسبه الصريح ،وليس من السهولة أن يتنازل عن هذا النسب الذى طالما تغنّى به ودافع عن أصالته ، ويظهر لنا أن محاولة روح بن زنباع ردّ نسبة قضاعة إلى معد تعود إلى أسباب سياسية أملتها عليه الظروف التي كان يعيشها في ظل الامويين .

ويطالعنا ابن عبدالبر برواية شبيهة بالرواية السابقة ،ولكنّه أدار أحداثها بين عدي بن الرقاع وعبيد بن حصين الراعي النميري ، فقال ابن عبدالبر: " عاملة بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ،وقيل عاملة بن مدركة بن إلياس بن مضر ،وهذا ما أنكره عدي بن الرقاع وتبرّأ منه ،فقال يخاطب الراعي النميري : (١)

وإذا أَطَعْتُكَ يا عُبَيْدُ كَسَوْتَني ... في كُلِّ مَجْمَعَةٍ رِداءً صَغارِ
أنبيحُ والدُنا الذّى نُدْعى لَهُ ... بأبي قَبائِلِ غائِبٍ مُتَوارِ
تِلْكَ التِّجارةُ ما رأَيْنا مِثْلَها ... ذَهَبٌ يُباعُ بأنْكٍ وتِبارِ
فأنا إذاً كالعودِ يُدْعى مِخْزَلا ... يَكْسو القَبائِلَ وهوَ أجْرَدُ عارِ
قَحْطانُ والدُنا الذّى نُدْعى لَهُ ... وأبو خُزَيْمَةَ خِنْدَفُ بنُ نِزارِ

وكان الراعي النميري قد عرض بنسب عدي بن الرقاع حين هجاه بقوله : (٢)

لَوْ كُنْتَ مَنْ أحدٍ يُهْجى هَجَوْتُكُمُ ... يا ابنَ الرَّقاعِ ولكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدِ
تَأْبى قُضاعَةُ أنْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا ... وابنا نِزارٍ فأنْتُمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

وعلى الرغم من اختلاف الروايات في مناسبة أبيات عدي السابقة فالواضح أنها قيلت في نفي نسبة قبيلته إلى مضر ،وإثباتها في قحطان . ويرى معظم النسابين الذين تعرضوا لها أنها تنتمي الى القبائل اليمانية ،وهي النسبة الصحيحة .

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٩ ،ابن عبدالبر: الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣ .
(٢) ديوان الراعي النميري ص ٧٨ ،الجاحظ: الحيوان ٤ : ٣٣٦،ابن رشيق :العمدة ٢ : ١٨٩ ،الحصري : زهر الآداب ١ : ٤٧ ،ابن عبدالبر :بهجة المجالس ٢ : ٨٢١، أبوالعباس الجرجاني :المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ص ١٠٩ ، لسان العرب : مادة بيض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد اختلفت بعض كتب الأنساب في سبب تسمية قبيلة عاملة بهذا الاسم ، ففي حين يذكر بعضهم أن عاملة هي بنت مالك بن وديعة بن قضاعة ، وأنها أم الزهد ومعاوية ابني الحارث بن عدي ، وأن عاملة هو الحارث بن عدي سمّي باسم أمه القضاعية(١)، يذكر بعضهم أن عاملة من العماليق الذين منهم الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع العاملي أحد ملوك العرب القدماء (٢) ، وقد ردّ ابن الاثير على هذا القول ،وحاول إثبات أن عاملة هو من ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرّة ،وأن النسب يعود الى أم ولد الحارث بن عدى وهي عاملة بنت مالك بن وديعة من قضاعة (٣) .

وقال بعضهم إن عاملة هو الحارث نفسه (٤) ،ولكن معظم ما في أيدينا من مصادر يرجّح أن عاملة هي بنت مالك القضاعية وبها عرفت القبيلة .

---

(١) ابن عبدربه : العقد الفريد ٣ : ٣١٦ ابن دريد : الإشتقاق ٣٧٣ ،ابن عبدالبر: الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣ ،القلقشندي :صبح الاعشى ١ : ٣٣٥ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٣٠٣ ،تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٣٦ .

(٢) السمعاني : الانساب ٨ : ٣٢٨ .

(٣) ابن الاثير: اللباب في تهذيب الانساب ص ١٠٧ .

(٤) نسب عدنان وقحطان ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ ديـار عاملـــة :

هاجرت قبيلة عاملة من اليمن إثر انهيار سد مأرب، وفي القرآن الكريم سـورة باسم هذه القبيلة ،وهي سورة سبأ ، قال تعالى : (لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَـةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمينٍ وَشِمالٍ كُلوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ واشْكُروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفورٌ. فَأَعْرَضوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِـدْرٍ قَليلٍ. ذٰلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَروا وَهَلْ نُجازي إِلّا الكَفورَ. وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُـرى الَّتي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرَةً وَقَدَّرْنا فيها السَّيْرَ سيروا فيها لَيالِيَ وَأَياماً آمِنينَ. فَقالـوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَظَلَموا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحاديثَ وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فـي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَـكورٍ) (١).

وعندما سئل الرسول الكريم عن سبأ قال : " هو رجل من اليمن له عشـرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فهم كندة وحمير وأسـد والأشعريون ومذحج وأنمار ،وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسّان" (٢).

وسكن معظم أبناء هذه القبيلة في بلاد الشام واتخذوها موطنا لهم (٣)،ويقال إنّ بطونا منها هاجرت إلى العراق وسكنت الحيرة (٤) ، وأن قسما آخر منها هاجـر إلى الجزائر واستقرّ بها واختلط بأهلها (٥) ،وقد نزلت عاملة في المنطقة الواقعة بين شمال فلسطين وجنوبي لبنان ،وهي المنطقة المعروفة بجبال عاملة حسب التقسيمـات الجغرافية الحديثة ،وهذا لا يعني أنها انحصرت في هذه المنطقة ،إذ تجاوزتها وتنقّلت في ربوع الأردن وفلسطين ،ويدعم ذلك ما ورد في بعض المصادر الجغرافية والتاريخيـة العربيـة .

---

(١) القرآن الكريم : سورة سبأ ،الآيات ١٥ - ١٩ .
(٢) الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٢ .
(٣) ابن الحائك الهمداني :صفة جزيرة العرب ص٢٧٢ ،قلائد الجمان ص ١٠٦ ، صبح الاعشى ١ : ٣٣٥ ، ٤ : ٨٦ ،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٣٣٢، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٧ .
(٤) د .جواد علي :المفصل في تاريخ العرب ٤ : ٤٦١ .
(٥) الحميري : المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحدّد الهمداني ديار عاملة تحديداً دقيقاً في أثناء حديثه عن ديار كلب في حوران فقال : " وإن تياسرت عن ذلك وقعت في ديار عاملة ، وهي مجاورة للأردن . وجبل عاملة مشرف على عكا من البحر يليها ويطلّ على الأردن والغلجة " (١) .

ووصف المقدسي جبل عاملة من حيث الطبيعة فقال : " جبل عاملة ذو قرى نفيسة وأعناب وأثمار وزيتون ، المطر يسقي زرعهم ، يطلّ على البحر ويتّصل بجبل لبنان " (٢) .

وقال القلقشندي : " أما بنو عاملة فهم أيضا من القبائل اليمنية التي خرجت من اليمن عند سيل العرم ، ونزلت بالقرب من دمشق بجبال هناك تعرف بجبال عاملة " (٣)، وأضاف " وجبل عاملة هو جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه شقيف أرنون (٤) ، نزله بنو عاملة من سبأ من عرب اليمن عند تفرّقهم بسيل العرم ، فعرف بهم " (٥) . وقال ابن خلدون في حديثه عن قبيلة عاملة إن معظمهم بجزيرة الشام (٦) ، وهي المنطقة المطلة على البحر .

واستناداً إلى ما نقله الجغرافيون والمؤرخون العرب نستطيع أن نحدّد ديار عاملة ، فهي تلك المنطقة الواقعة بين الحدود الشمالية لفلسطين والأردن والحدود الجنوبية لسوريا ولبنان حسب التقسيمات السياسية في عصرنا الحاضر ، وهي منطقة تشتهر بخصوبة تربتها ، وكثرة خيراتها ، وغزارة مياهها . وشاركت عاملة في سكنى بلاد الشام بعض القبائل اليمانية التي هاجرت معها من اليمن كلخم وجذام وغسان وكلب (٧)، وهي قبائل تجمعها صلة الأخوة والقرابة ، ويوحد بينها الدم .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٤ .
(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٢ .
(٣) قلائد الجمان ص ١٠٦ .
(٤) وهي معروفة الآن باسم قلعة الشقيف .
(٥) صبح الاعشى ٤ : ٨٦ .
(٦) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٣٦ .
(٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٤٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - عاملة في الجاهلية :

خضعت القبائل العربية التي استقرت في بلاد الشام ومنها عاملة لسلطان الدولة الرومية ، وتولى تصريف شئونها الخارجية قياصرة القسطنطينية . فجنّدوا هذه القبائل واتخذوها ستاراً يقيهم غارات القبائل العربية على حدود الجزيرة العربية والعراق كما اتخذ الفرس المناذرة ستاراً يقيهم غارات القبائل العربية أيضا .

لقد ساعدت القبائل العربية في الشام الروم في حروبهم مع المسلمين في بداية انتشار الدعوة الإسلامية ، فقد التقى عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة في غزوة ذات السلاسل مع قضاعة وعاملة وجذام ، وكانوا مجتمعين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة (١) ، ووقف قسم من أبناء هذه القبائل إلى جانب الروم في غزوة تبوك . قال الواقدى " إن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة ، وزحفوا وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص " (٢) . وقال البلاذرى : " كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع للهجرة وسببها أن هرقل ومن اجتمع إليه من لخم وجذام وعاملة وغيرهم أظهروا أنهم يريدون غزو الرسول عليه السلام ، فلمّا ساروا إليه هابوا محاربته فلم يلق كيدا " (٣) . وكان الأنباط قد نقلوا إلى المسلمين بالمدينة أخبار تجمّع الروم والقبائل العربية المناصرة لهم .

وفي معركة اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة ، وقف قسم من أبناء هذه القبائل إلى جانب الروم ، وانضمّ قسم منهم إلى جانب المسلمين ، قال الطبرى في حديثه عن هذه المعركة : " دخل أبو عبيدة في تلك السنة دمشق فشتّا بها ، فلمّا أصافت الروم ، سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير ، ومعه من أرمينية مثل ذلك بشر كثير ، ومعه من المستعربة

١ـ أنساب الأشراف ١ : ٣٨١
٢ـ الواقدى : المغازى ٣ : ٩٩٠
٣ـ أنساب الأشراف ١ : ٣٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من غسّان وتلك القبائل اثنا عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم الغسّاني (١). وكان قد انضمّ إلى المسلمين قسم من لخم وجذام ،فلما اشتدّ القتال فرّوا إلى القرى المجاورة لهم ،فقال أحد المسلمين : (٢)

القَوْمُ لَخْمٌ وجذامٌ في الهَرَبْ
ونحنُ والرّومُ بمرجٍ نَضْطَرِبْ
فإنْ يعودوا بَعْدَها لا نَصْطَحِبْ

وكانت عاملة حليفة لكلب ،وأغارت معهم على قبيلة طي ، فأسر رجل من عاملة اسمه قعيسيس عدي بن حاتم الطائي ،فانتزعه منه شعيب بن الربيع بن مسعود العليمي من كلب وقال له : ما أنت وأسر الأشراف ،وأطلقه بغير فداء (٣). وأشار عدي بن الرقاع إلى هذه الحادثة في شعره فقال : (٤)

نَسيتُمْ مساعينا الصّوابحَ فيكُمُ ... وما تذكُرونَ الفَضْلَ إلّا تَوَهُّما
فإنْ تَعْدُدونا الجاهِليّةُ إنّنا ... لَنُحْدِثُ في الأقوامِ بُؤْسا وأنْعُما
فلا ذاكَ مِنّا ابنُ المُعَدِّلِ مُرّةٌ ... وعَمْرو بنُ هِنْدٍ عامَ أصْعَدَ مَوْسِما
يَقودُ إلَيْنا ابنيْ نِزارٍ منَ الملا ... وأهْلَ العِراقِ سامِيا مُتَعَظِّما
فلمّا ظَنَنّا أنّهُ نازلٌ بنا ... ضَرَبْنا وولّيناهُ جَمْعا عَرَمْرَما
ونحنُ فَكَكْنا عنْ عَدِيِّ بنِ حاتِمٍ ... أخي طيِّءٍ الأجْيالِ قِدْما مُحَرَّما

لقد عدّد عدي في هذه المقطوعة مآثر قومه وقوّة بأسهم في الجاهليّة ،وتعرّض لمرّة بن المعدّل وعمرو بن هند وعدي بن حاتم الطائي الذى أسره قعيسيس،وإطلاق سراحه .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٥٧٠ ،البسوي :المعرفة والتاريخ ٣ : ٣٠٠، ابن عساكر : تاريخ دمشق ١ : ٤١٣ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣ : ٥٧٠ .
(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٤١٩ ، العقد الفريد ٣ : ٣١٦ ، الاشتقاق ص ٣٧٤ ، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ١٢٤ .
(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة الملا .

٣٢٥٥٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - ديانتهـــــا :

عبدت عاملة الأصنام في جاهليّتها ، قال ابن الكلبي (١) : " كان لقضاعـــة ولخم وعاملة وجذام وأهل الشام صنم يقال له الاقيصر، فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده ،فكان كلّما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قرة من دقيق ،فكانت هـــوازن تنتابهم في ذلك الابان ،فان أدركه قبل أن يلقي القرة على الشعر قال : أعطنيه فانّـــي من هوازن ضارع،وإن فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكلـــه " .

ويظهر أن عادة حلق الرؤوس عند الأصنام وإلقاء الدقيق مع الشعر كانت عـــادة متّبعة عند هذه القبائـــل .

ولهذا الصنم يقول زهير بن أبي سلمى (٢) :

حلفتُ بأنصابِ الاقَيْصِرِ جاهِدا ... وما سُحِقَتْ فيهِ المقادِيمُ والقَمْلُ

وأنشد ابن الاعرابـــي (٣) :

وأنصابُ الاقَيْصِرِ حينَ اضْحَتْ ... تَسيلُ على مناكِبِها الدِّمـــاءُ

وكان عند هذا الصنم أنصاب ينحر الناس عليها قرابينهم التي يتقرّبون بها إليه ،وكانـــت هذه الأنصاب ملطّخة بالدماء من كثرة ما ذبح عليهـــا (٤) .

ودان قسم من أبنائها بالنصرانيّة قبل مجيء الإسلام ،وأشار الجاحظ إلى ذلـــك فقال (٥) : " هذا مع ما كان في العرب من النصارى الذين يخالفون دين مشركـــي العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان وعبد القيس وقضاعة وغسّان وسليم والعباد وتنـــوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء وأعـــداء " .

---

(١) ابن الكلبي : الأصنام ص ٤٨ ، معجم البلدان ، مادة أقيصـــر .
(٢) الأصنام ص ٣٨ ،معجم البلدان ،مادة أقيصـــر .
(٣) لسان العرب ،مادة قصـــر .
(٤) المفصل في تاريخ العرب ٦ : ٢٧٥ .
(٥) الحيوان ٧ : ٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - عاملة بعد الفتح الإسلامي :

لعبت القبائل اليمانيّة في بلاد الشّام ومنها قبيلة عاملة دوراً مهمّاً ،فقد ساندت بني أميّة وظاهرتهم على أعدائهم رعاية لمصالحها ،ويظهر أنها كانت تخشى انتقال الخلافة إلى غير بني أميّة ، فتفقد الشام موقعها السياسي والاقتصادي الذي اكتسبته منذ آل الحكم إلى بني أميّة ،وسارت هذه القبائل على خطّة تأييد الخلفاء الذين يرعون مصالحها ،فقد وقفت إلى جانب معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ،وناصرت البيت المرواني فأيّدت مروان بن الحكم وساعدته على ابن الزبير ،وساعدت عبد الملك بن مروان على أعدائه ،ووقفت مع الوليد بن عبد الملك . وإذا لم ترض عن سياسة خليفة من خلفاء بني أميّة ثارت عليه ،ويتّضح ذلك في موقفها من الوليد بن يزيد ،فقد أثار الوليد سخط هذه القبائل بقتله خالد بن عبد الله القسري زعيمها ،وتقريبه للقبائل القيسيّة ، ونسب إليه اليمانيون قصيدة يهزأ فيها بالقحطانيين ويفخر عليهم بقومه ويتحدّاهم أن ينتصروا لخالد القسري (١) ،وذلك لإثارة حميّة أبناء هذه القبائل واستفزاز مشاعرهم ضد الخليفة ومن هذه القصيدة (٢) :

وهٰذا خالدٌ فينا قتيلاً ... ألا منعوهُ إنْ كانوا رجالا
فلوْ كانتْ قبائلَ ذاتَ عِزٍّ ... لما ذهبتْ صنائعُهُ ضلالا

فلما شاعت هذه الأبيات في الناس ازداد سخط القبائل اليمانية على الوليد ، فظاهرت يزيد بن الوليد بن عبد الملك عليه ،وساعدته في قتله . وقد فخر شعراء اليمانية بذلك ، يقول الأصبغ بن ذوالة الكلبي (٣) :

فَمَنْ مبلغٌ قَيْسا وَخِنْدَفَ كُلَّهـا ... وساداتِها مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وهاشِمِ
قَتَلْنا أميرَ المؤْمِنينَ بخالِـدٍ ... وسِعْنا وَلِيَّ عَهْدِهِ بالدَّراهِمِ

---

(١) د . حسين عطوان : الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص ٤٣٤ وما بعدها .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٤٨ ،تاريخ الامم والملوك ٧ : ٢٣٤ ،المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢٨٠ ، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢ .
(٣) التنبيه والإشراف ص ٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال خلف بن خليفة البجلي (١) :

تَرَكْنا أميرَ المؤمنينَ بخالِدٍ ... مُكِبّاً على خَيْشومِهِ غيرَ ساجِدِ
أقْرِي مَعَدٌّ بالهَوانِ فإنّنا ... قَتَلْنا أميرَ المؤمنينَ بخالِدِ

وثارت القبائل اليمانيّة على مروان بن محمد بعد وفاة يزيد بن الوليد ، فعمّ الاضطراب أرجاء الدولة الأمويّة ، وعجلت ثورتهم في القضاء على خلافة بني أميّة وانتقالها إلى بني العبّاس .

---

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: سيرته

أ- اسمه ونسبه (١):

هو عديّ بنُ زَيْد بن مالِك بن عدي بن الرِّقاع بن عُصَر بن عُدَّة بن شُعَل بن معاوِيَةَ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن زيد بن كَهْلان ابن سَبَأ .

ونسب إلى الرّقاع جدّه الأبعد لشهرته ،ولا تفيدنا المصادر بشيء عن الرّقاع سوى أنه كان مشهوراً .

ونسبه ياقوت الحموي إلى قبيلة طيّ ،فقال في حديثه عن جاسم : " وقد نسب إليها عديّ بن الرّقاع العاملي الطائي " (٢) . وهذا وهم وقع فيه ياقوت الحموي ،إذ لم يؤثر عن أحد غيره ردّ نسب عديّ بن الرقاع إلى قبيلة طيّ ، ونسبته ثابتة في قبيلة عاملة .

---

(١) أهم مصادر ترجمته :
ابن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ص ٨٩ ،ص ١٤٣ ،ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤١٥ ،الاشتقاق ص ٣٧٥ ،العقد الفريد ٢ : ٤٢ ،الأغاني ٩ : ٣٠٠ ، الآمدي : المؤتلف والمختلف ص ١٦٦ ،معجم الشعراء ص ٨٧ ،الشريف المرتضى : الأمالي ٢ : ١١ ،ابن ماكولا : الإكمال ٣ : ٣٣٦ ،تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥١ ،النويري : نهاية الأرب ٤ : ٢٥٢ ،ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ،مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٥ ،الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ : ١١٠ ، السيوطي : شرح شواهد المغني ١ : ٤٩٣ ،البغدادي : شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .

(٢) معجم البلدان ،مادة جاسم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - مولـــــده :

ليس في استطاعتنا تحديد السنة التي ولد فيها عديّ بن الرقاع لعدم وجـــود دليل يعين على ذلك ، ولكن نستطيع القول إنه ولد في أواخر العقد الثالث وأوائـــل العقد الرابع من القرن الأول الهجري اعتمادا على بواكير شعره . فأول ما وصل إلينـــا من شعره كان في عهد الخليفة يزيد بن معاوية الذى تولّى الخلافة بعد وفاة أبيـــه سنة ستين للهجرة ، وكانت وفاة يزيد سنة أربع وستين ، وقد ورد أن عديّاً قال شعراً فـــي ردّ نسبة قضاعة إلى اليمن مؤيّداً لناتل بن قيس الجذامي في عهد يزيد بن معاويـــة[1] ، فإذا قدرنا أن عديّا كان في هذا الوقت شابّا ، وأنه جاوز العشرين من عمره ، نكـــون قريبين من الصّواب . ولا نظفر بشيء من أشعاره وأخباره قبل خلافة يزيد بن معاويـــة ، ممّا يدلّ على أنّ شاعريّته بدأت تظهر في عهد هذا الخليفة ، وبدأ نجمه يسطع ويتألّـــق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملـــك .

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٨ ، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨ ، الإنباه على قبائـــل الرواه ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - أسرتـــــه :

أغفلت المصادر أخبار أسرة عديّ كما أغفلت أخباره ،ولم تنقل لنا غير شـــذرات قليلة منها ،وإذا رجعنا إلى شعره وبعض أخباره نستطيع أن نكوّن فكرة بسيطة عن أسرته ، فقد كني عديّ أبا دواد (١) ،ممّا يدلّ على أنه كان له ابن بهذا الاسم ،وكانت لـــه بنت شاعرة اسمها سلمى ،قالت الشعر في سنّ مبكّرة ،نستشف ذلك من الخبر الذى رواه ابن قتيبة في ترجمته لعديّ ،إذ قال : " كانت له بنت تقول الشعر ،وأتاه ناس من الشعـــراء ليماتنوه ،وكان غائبا عن منزله ،فسمعت بنته وهي صغيره لم تدرك ذرواً من وعيدهـــم ، فخرجت إليهم وهي تقـــول (٢) :

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وِلَـــدَّةٍ ... على واحدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحِـدِ

فانصرفوا عنه ولم يهاجـــوه " . ولم يصل إلينا غير هذا الخبر عن ابنته سـلمى .

أمّا زوج عديّ فهي سَلّومةُ بنتُ حُرَيْثِ بنِ زيد الصِّنيّ (٣) ، وقد ورد ذكرها فـي مطلع إحدى قصائده ،حيث قـال (٤) :

غَدا وَلَمْ يَقْضِ مِنْ سَلّومَةَ الوَطَـــرا ... وما تَلَبَّثَ أَنْ وَلّى وما ائْتَظَـرا

وذكر الزبير بن بكار أنه كان لعديّ أخ اسمه يزيد ،وأورد بيتين من الشعر في مقتـــل مصعب بن الزبير نسبهما إليه ،قال (٥) : " قال يزيد بن الرقاع العاملي وكان شاعـــر أهل الشام يذكر مصعبا وإبراهيم وســـلما :

---

(١) معجم الشعراء ص ٨٣ ، تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١ : ١٥٢ ، السيوطي : المزهر في علوم اللغة ٢ : ٤٥٠ ،الإكمال ٣ : ٣٣٦ .

(٢) طبقات الشعراء ص ٨٩ ،الحيوان ٣ : ٦٤ ،الشعر والشعراء ص ٤١٥ ،الأغاني ٩ : ٣٠٤ ،معجم الشعراء ص ٨٧ ،بهجة المجالس ١ : ١٠٥ ،الزمخشري : ربيع الابرار : ٢ : ١٨٤ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١٩ : ٣١٣ .

(٣) الصغاني : التكملة والذيل والصلة ،مادة سلم ،الفيروز أبادى : القاموس المحيـــط ، مادة ســـلم .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عدد ٣٣ سنة ١٩٥٨ (مطالع قصائد عـــديّ ابن الرقاع / د . حسين محفوظ) .

(٥) الزبير بن بكار : الاخبار الموفقيات ص ٥٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحنُ قَتَلْنا ابنَ الحوارِيِّ مُصْعَباً ... أَخا أَسَدٍ والمَذْحِجِيَّ اليَمانِيا
وَمَرَّتْ عُقابُ الموتِ مِنّا بِمُسْلِمٍ ... فَأَهْوَتْ لَهُ ظُفْراً فأَصبَحَ ثاوِيا

قال أبو عبدالله الزبير : وهو يروى للبعيث اليشكرى ،ومسلم الذى عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي " .

وقد نسب البلاذري هذا الشعر إلى عديّ بن الرّقاع فقال (١) : قال عدي بن الرقاع ويقال البعيث اليشكرى :

ونحنُ قتلْنا ابن الحوارىّ مُصْعَباً ... أَخا أَسَدٍ والمَذْحِجِيَّ اليَمانِيا
ومرَّتْ عُقابُ الموتِ قَصْداً بمسلمٍ ... فأَهْوَتْ لهُ ظُفْراً فأصبحَ ثاوِيا

يعني مسلم بن عمرو الباهلي .

وفي موضع آخر نسب البلاذرى أربعة أبيات للبعيث اليشكري قال : قال البعيث اليشكرى (٢) :

ولمّا رأَيْنا الامْرَ نَكْساً صُدورُهُ ... وهَمَّ الهَوادى أَنْ تكونَ تَوالِيا
صَبَرْنا لأَمْرِ اللّهِ حتّى يُقيمَهُ ... وَلَمْ نَرْضَ إِلّا مِنْ أُمَيَّةَ والِيا
ونحنُ قَتَلْنا مُصْعَباً وابنَ مُصْعَبٍ ... أَخا أَسَدٍ والاَشْتَرِيَّ اليَمانِيا
سَقَيْنا ابنَ سيدانٍ بكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... كَفَتْنا وَخَيْرُ الامْرِ ما كانَ كافِيا

وأرجح أن يكون هذا الشعر للبعيث اليشكري ،فإذا نظرنا في المقطوعتين السابقتين وجدنا تشابهاً في القافية والعروض وهما من وزن واحد ، كما يوجد تشابه كبير جدّاً بين البيت الاوّل من المقطوعة الاولى والبيت الثالث من المقطوعة الثانية ،وهذا يرجّح أن تكون المقطوعتان مقطوعة واحدة ،ثمّ انه لم يؤثر عن يزيد بن الرقاع غير هذين البيتين اللذين لم تثبت نسبتهما إليه ، وبيتين آخرين لم تثبت نسبتهما إليه أيضا ،ونسبا إلى صالح بن عبدالقدوس كما سيأتي . ولم ينسبهما إلى عديّ بن الرقاع غير البلاذري ،وهناك مقطوعة لعديّ يذكر فيها مقتل مصعب بن الزبير

---

(١) أنساب الاشراف ٥ : ٣٤٢ .
(٢) أنساب الاشراف ٥ : ٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تختلف اختلافاً كلّياً عن المقطوعة السابقة،ولم يتعرض عدىّ فيها لمسلم بن عمرو الباهلي ولا لإبراهيم بن الاشتر،بل اكتفى بالتعرض لمصعب وحده .

وقد نسب أبو الفرج البيتين السابقين إلى يزيد بن الرقاع (١) ، واعتمد في روايته على الزبير بن بكار،وأخذ ابن عساكر بهذه الرواية عن الزبير أيضا (٢) ، ونسب بيتين آخرين ليزيد فقال (٣) : " قال يزيد بن الرقاع ويروى لصالح بن عبد القدّوس:

متى تُزْدِ مَعْروفا إلى غير أَهْلِهِ ... تُرزْتَ فلمْ تظفَرْ بأَجْرٍ ولا حَمْدِ

وكِتْمانُكَ المعْروفَ أَوَّلُ بُعْدِهِ ... وإظْهارُهُ مِنْ شُكْرِهِ لا أَخي الرِّفْدِ

وهذا الشعر أقرب إلى شعر صالح بن عبد القدوس الذى اشتهر بأشعار الحكمة .

وفي شعر عدىّ إشارة تدلّ على وجود إخوة له ،لكنّه لم يحدّد عددهم ولا أسماءهم . قال في مدح عبد الملك وهجاء مصعب بن الزبير بعد مقتله (٤) :

فِداؤُكَ أُمّي وأَبْناؤُها ... وإنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيْها أَبي

ونستشف من هذا البيت أن والدي عدىّ كانا على قيد الحياة ،حين قال شعره هذا ، وذلك لقوله فداؤك أمي وأبي ، فلو لم يكونا على قيد الحياة لما فدا بهما الخليفة ، لأنّ الفداء لا يكون بشيء غير موجود . وغير هذه الإشارة لم نعثر على أي خبر عن والديه .

---

(١) الأغاني ١٩ : ٥٨ .
(٢) تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١٨ : ١٤٤ .
(٣) تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١٨ : ١٤٤ .
(٤) الأغاني ٩ : ٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - نشـــأته :

ولد عديّ في منطقة بَيْسان من الاردن ،وبها نشأ ، ويلف الغموض المرحلـــة الأولى من حياته ،فلم يتحدّث أحد ممّن ترجم له أو نقل أخباره عن نشأته الأولى ،وعندمـــا شبّ أخذ يتردّد إلى دمشق حاضرة الخلافة الاموية ، فقد أشار عميد بن حصين الراعـــي إلى مجيئه إلى دمشق من منطقة بَيْسان فقال (١) :

جاءَتْ بهِ مِنْ قُرى بَيْسانَ تَحْمِلُهُ سَوْداءُ مُخَضَّرَةُ الآباطِ والكَتَـدِ

ووفد عديّ إلى دمشق في عهد يزيد بن معاوية ، وذكر ابن عبدربه أنه قدم دمشق ومـدح الوليد بن عبد الملك وأنه لمّا أتت الخلافة سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله فـي الأردن أن يبعث إليه عديّ بن الرقاع في وثاق ، ثمّ أمر بردّه إلى أهله في الاردن (٢) . وأشـار ابن عساكر إلى هذا الخبر أيضا (٣) . أمّا ابو الفرج فذكر أن منزل عديّ كان بدمشق(٤)، لكنّ الثابت أنه كان يقيم مع أهله في الاردن ،وكان يكثر من التردّد إلى دمشق لمـــدح الخلفاء ونيل رفدهـــم .

ونشأ عديّ في بيئة تأجّجت فيها نار العصبيّة القبليّة فخاض غمارها ووقف مدافعاً عن يمانيّة قبيلته ، ورد أقوال الذين نسبوها إلى مضر (٥) ،وكانت مصالح القبائل اليمانية في مساندة خلفاء بني أميّة ،لذلك وقف عديّ منافحاً عن الخلافة الاموية ،مؤيداً لهـــا تأييداً قويّـــاً .

---

(١) ديوان الراعي النميري ص ٧٨ .
(٢) العقد الفريد ٢ : ٤٢ .
(٣) تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ .
(٤) الاغاني ٩ : ٣٠٠ .
(٥) الاغاني ٩ : ٣٠٨ ،الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - ثقافتـــــه :

تأثّر عديّ بالثقافة التي سادت عصره ،فقد نشأ في الاردن ،وانتقل إلى دمشق حاضرة الخلافة ،وكانت مركزا من مراكز النشاط الثقافي والعلمي في ذلك العصر،فاستقطبت العلماء والشعراء والادباء من أرجاء الدولة الإسلامية، فوفد إليها العلماء لينالوا رفد الخلفاء ،وتردّد الشعراء عليها لمدح بني أمية طمعاً في جوائزهم وعطاياهم ،وكان لاهتمام خلفاء بني أمية وتشجيعهم أثر مهمّ في ازدهار الثقافة في ذلك العصر (١) .

وحين ننظر في شعر عديّ نجد آثار هذه الثقافة واضحة جليّة ،فهو معتدّ بنفسه وعلمه ، وقد تحدّث عن الانواء والنجوم ،وتردّدت في شعره أدوات الحضارة المختلفة كالورق والقلم والدواة والكتاب وغيرها . قال يذكر الانواء (٢) :

وباتَ يَجْتَلِبُ الجَوْزاءَ دَرَّتَهـا ... بَنْوئِها حينَ هاجَتْ مَرْبَعٌ نعِقُ

وقال يذكر الشّعرى (٣) :

وَأَبْصَرَ النّاظِرُ الشِّعْرى مُبَيِّنَـةً ... لمّا دَنا منْ صلاةِ الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ

في حُمْرَةٍ لا بياضُ الصُّبْحِ أَغْرَقَها ... وقدْ علا اللَّيْلُ عَنها فهو مُنْكَشِفُ

يَيْأَسُ اللَّيلُ مِنْها حينَ تَتْبَعُهُ ... ولا النَّهارُ بِها لِلَّيْلِ يَعْتَرِفُ

وقال (٤)

وَشَرِبْنَ كُلَّ بَقِيَّةٍ صادَفْنَهـا ... في الأَرْضِ مِنْ مَطَرِ السِّماكِ الأَعْزَلِ

وورد ذكر أدوات الكتابة في مواضع كثيرة من شعره فذكر الكتاب في قوله :

لِمَنْ رسْمُ دارٍ كالكتابِ المُنَمْنَمِ ... بِمُنْعَرَجِ الوادي فَوَيْقَ المُهَزَّمِ (٥)

كأنَّ قَرادى زَوْرِهِ طَبَقَتْهُمـا ... بِطينٍ مِنَ الجَوْلانِ كُتّابُ أَعْجَمِ (٦)

---

(١) أنظر: محمد كرد علي : خطط الشام ٤ : ١٧-٢٢ .
(٢) المرزوقي : الازمنة والأمكنة ٢ : ٢٤٤ .
(٣) ابن قتيبة: الانواء ص ١٣ ،البيروني : الاثار الباقية ص ٣٣٩ .
(٤) الانواء ص ٦٣ .
(٥) معجم البلدان ،مادة المهزّم .
(٦) الحيوان ٥ : ٤٤٠ ،لسان العرب،مادة بندك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يذكر القلم والدواة :

تُزْجي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِـــهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها (١)

يَخْرُجْنَ مِنْ فُرُجاتِ النَّقْعِ دامِيَةً كَأَنَّ آذانَها أَطْـرافُ أَقْـلامِ (٢)

فهذه أدوات حضارية بدأت تنتشر في أمصار الدولة المختلفة في العصر الأموي بعـد أن استقرّت أمور الدولة ،وبدأ الاتجاه نحو العلوم والثقافة يتّخذ أبعاداً كثيرة .

وحين نتحدّث عن عديّ يحسن ألّا تفوتنا معرفته الواسعة بالعربيّة ودقائقهـا ، ومقدرته على صياغة الشعر ،فقد استشهد علماء اللغة بأشعاره ، كما حشد أسماء مـدن وقرى كثيرة في شعره استفاد منها الجغرافيون ،فاستشهدوا بها ليعرفوا بالمواقع الـتي كانوا يتحدّثون عنهـا .

وكان عديّ يحسن مخاطبة الخلفاء والأمراء ،ممّا يدلّ على حسن ثقافته وتأدبـه ، واستطاع بلباقته أن يشدّ أنظارهم إليه، ويستدر عطفهم ورعايتهم ، فاحتلّ مكانة مرموقـة في عهد الوليد بن عبدالملك ،وعرف كيف ينفذ إلى قلبه ، فمدحه بالمعاني الإسلاميـة التي كان يحبّ أن يمدح بها ، وقد وردت في شعره بعض المفردات غير العربية ،فذكـر بعض شهور الروم فقال (٣) :

شُباطا وكانونَيْنِ حتّى تَعَـذَّرَتْ عَلَيْهِنَّ في نَيْسانَ باقِيَةُ الشُّرْبِ

قال الدينوري : إن عديّا كان ينزل الشام ،فأخذ هذا عن أهله (٤) . وذكـر

---

(١) عبدالعزيز الميمني : الطرائف الأدبية ص ٨٦ ،طبقات الشعراء ص ١٤٤ ،الشعر والشعراء ص ٤١٥ ، المبرد ،الكامل في اللغة والأدب ١ : ٣٧٣ ،ابن المعتز : البديع ص ٧١ ،العقد الفريد ٧ : ٧٥ ،أبو هلال العسكري : ديوان المعاني ٢ : ١٣٢ ، زهر الآداب ١ : ٣٩٢ ، الزمخشري : أساس البلاغة ،باب الهمزة حماسة ابن الشجري ص ٩٢٥ ،لسان العرب ،مادة زجا ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٤ ، المزهر في علوم اللغة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) العقد الفريد ١ : ١١١ ، ٤ : ٢٦٤ ،البكري : سمط اللآلي ٤ : ٧٨٦ .

(٣) الأنواء ص ١٩ ،ص ١٠٣ .

(٤) الأنواء ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرزوقي نقلاً عن أبي حنيفة أنّ من حلّ بالشام من العرب أعلم من غيرهم بالفصول وأوقات الأنواء والطلوع ، وذلك لتأثرهم بالروم الذين يعدّهم من أحفظ الأمم لهذه الأمور (١) .

(١) الأزمنة والأمكنة ١ : ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و ـ صفاتـه وأخلاقـه :

وصف عبيد بن حصين الراعي عديّ بن الرّقاع بقصر القامة ، فقال في هجائه : (١)

جُنادِفٌ لاحِقٌ بالرَّأْسِ مُنكِبُهُ ... كَأَنَّهُ كَوْدَنٌ يُوشى بِكُلّابِ

مِنْ مَعْشَرٍ كُحِلَتْ بالَّلؤْمِ أَعْيُنُهُمْ ... قُعْدِ الأَكُفِّ لِئامٍ غيرِ صُيّابِ

ورماه أبو القمقام بن بحر بن السقا بعشى العينين وعدم الرؤية في الليل فقال : (٢)

إنَّ عَدِيّاً فاضِحُ القَبيلَهْ ... أَعْشى أَدْيَرُ فاسِدُ الحَليلَهْ

وذكر ابن عساكر أنه كان أبرص (٣) ، وأشار الذهبي إلى اتصافه بالبرص كذلك (٤) .

ونحن لا نستطيع قبول الصورة التي رسمها له عبيد الراعي وأبو القمقام في شعرهما لأنّ هذا الشعر قيل في معرض الهجاء ، ومعروف أنّ الشّاعر عندما يهجو شخصا آخر ، فانّه يحاول إلصاق جميع الصفات السيئة به ، سواء اتّصف بها أو كان خاليا منها ، وهو أمر معروف في شعر الهجاء .

---

(١) ديوان الراعي ص ١٠ ، الجوهري : الصحاح : مادة جدف ، ووشى وكلب ، التكملة والذيل والصلة : مادة جدف ، لسان العرب : مادة جندف وصيب وكلب ووشى ، تاج العروس : مادة صيب وكلب .

(٢) الجاحظ : البرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٢٦٣ .

(٣) تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥ : ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. الإخلاص والوفاء :

تغنّى عديّ بالصّفات العربية الحميدة ، كالشّجاعة والوفاء والإخلاص وغيرها ، ومن يمعن النظر في أشعاره وأخباره يجد هذه الظاهرة واضحة جليّة عنده ، فليس أدلّ على إخلاصه ووفائه لأصحابه من ذلك الموقف الشجاع الذى وقفه من صديقه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (١) ، فقد كان عبيدة والياً على الأردن في عهد الوليد بن عبد الملك ولا مرّ ما عزله الوليد عن الولاية ، وضربه وحلقه وأقامه للناس ، وطلب إلى أعوانه أن يراقبوا من يأتيه متوجّعاً له أو مثنياً عليه ، وأن يحضروه إلى الخليفة ، وكان عبيدة محسناً إلى عديّ بن الرقاع فلما علم عديّ بما أصابه خفّ إليه وأنشده قوله (٢) :

فما عَزَلوكَ مَسْبوقاً ولكِنْ ... إلى الخَيْراتِ سَبّاقاً جَوادا
وكُنْتَ أخي وما وَلَدَتْكَ أُمّي ... وصولاً بازِلاً لي مُسْتَزادا
وقدْ هِيضَتْ لِنَكْبَتِكَ القُدامى ... كَذاكَ اللّهُ يَفْعَلُ ما أرادا

لقد أبى عديّ أن يتخلّف عن صديقه ، وأن يقف منه موقف المتفرّج ، بل صمّم على مواساته والوقوف بجانبه في وقت المحنة ، على الرغم من أن الخليفة هو الخصم ، وعلى الرغم من تهديده لمن يقف مثل هذا الموقف من عامله المعزول . فجازف عديّ وأتى عبيدة مادحاً ومثنياً ومواسياً . ويدلّ ذلك على تمسّك عديّ بهذه الصفة الحميدة التي تغنّى بها شعراء العربية على مرّ العصور . ومضى ابو الفرج في نقله هذا الخبر يقول : " فوثب المتوكلون به إليه ، وأخذوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى ، فتغيّظ الوليد منه وقال : أتمدح رجلا فعلت به ما فعلت ؟ " . ويأبى إخلاص عديّ ووفاؤه مرّة أخرى الّا أن يدافع عن صديقه وعن نفسه فيقول : " يا أمير المؤمنين إنه كان إليّ محسناً ولي مؤثراً وهي برّاً ، ففي أيّ وقت كنت أكافئه غير هذا اليوم ؟ فقال : صدقت وكرمت ، فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف ، فانصرف به إلى منزله " (٣) .

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٦ .
(٢) الأغاني ٩ : ٣٠٧ .
(٣) الأغاني ٩ : ٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المحتمل أن يكون عديّ قد اعتمد في موقفه هذا على إيثار الوليد الشديد له ومحبّته إيّاه ،فمدح عبيدة دون خوف من عقاب الخليفة ، إلّا أن عديّاً لم يكن يعلم أن الخليفة سيصفح عنه ،فمدح عبيدة وفاءً له وإخلاصاً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ . الاعتـداد بالنفـــس :

كان عديّ شديد الاعتداد بنفسه ، وكان يبالغ في ذلك ، ممّا جعل بعض العلماء والشعراء يطعنون عليه ، ويتّهمونه بالجهل والغرور ، فقد قال في قصيدة مدح بهـــا الوليد بن عبد الملك (١) :

وَعَلِمْتُ حتّى ما أُسائِلُ واحِـــداً عَنْ عِلْمِ واحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدادَهـا

لقد ادّعى عديّ أنّه بلغ مرتبة من العلم لا يحتاج معها إلى سؤال أحد في أية مسألـــة وهذا اعتداد شديد بالنفس ، فهل كان عديّ يعرف ألوان المعرفة جميعها مما يجعله لا يحتاج إلى أن يسأل أحداً ؟ وهذا ما دعا كثير عزّة إلى اتّهامه بالكذب في مجلـــس الوليد ، فقال له : " كذبت وربّ البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عـــن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك ، وما كنت أحمق منك الآن حين تظنّ هـــذا بنفسك ، فضحك الوليد والحضور " (٢) . وروي عن محمد بن المنجم أنه قال عندما سمع بيته هذا : " ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه ، وإذا رأيته أمرت بصفعه إلّا عديّ بـــن الرقاع . قيل ولم ذلك ؟ قال : لقولـــه :

وعلمتُ حتّى ما أُسائلُ واحـــداً عنْ علم واحدَةٍ لكيْ أزْدادَهـا

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم ، فكلّما مرّ به شيء ولم يحسنه أمرت بصفعه " (٣) . وقـــد التفت الأستاذ خليل مردم إلى هذا الموقف التفاتة لطيفة فقال : سامح الله محمـــد ابن المنجم ، فانه يدّعي أكثر مما يدّعيه عديّ بقوله هـــذا (٤) .

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٨٦ ، الحيوان ٣ : ٦٤ ، الجاحظ : البيان والتبيين ص ٤٥٠ ، ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢ : ١٢٨ ، العقد الفريد ٢ : ٧٤ ، ٧ : ٧٥ ، الأغاني ٩ : ٣١١ .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١١ .

(٣) الأغاني ٩ : ٣٠٣ .

(٤) خليل مردم بك : شعراء شاميون ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. الصبر والجلد :

كان عديّ جلداً شديد الصبر على الملّمات والمصائب ، يظهر ذلك في قوله (١) :

وفراقِ ذي حَسَبٍ وَرَوْعَةِ فاجِعٍ ... داوَيْتُهُ بتجمّلٍ وعَزاءِ
لِيَرَى الرِّجالُ الكاشِحونَ صَلابَتي ... وأُكُفَّ ذاكَ بِعِفَّةٍ وَحَياءِ

وفي قولـه (٢) :

وَنَكْبَةٍ لو رمى الرّامي بِها حَجَراً ... أَصَمَّ مِنْ يابِسِ الصَّوّانِ لانْصَدَعا
أَتَتْ عَلَيَّ فَلَمْ أَنْزِعْ لَها سَلَبي ... ولا اسْتَكَنْتُ لَها شَكْوى ولا جَزَعا

فالمصائب لا تزيده الاّ صلابة وقوّة ، ولا تثنيه ولا تؤثّر فيه لانّه قوىّ صبور .

أُسِرُّ هُموماً لَوْ تَغَلْغَلَ بَعْضُها ... إلى حَجَرٍ صَلْدٍ تركن بِهِ صَدْعا (٣)

وفي شعره شواهد عديدة على هذه الصفة .

---

(١) حماسة البحتري ص ١٩٣ ، البصري : الحماسة البصرية ٢ : ٤٥ .
(٢) حماسة البحتري ص ١٩٥ .
(٣) معجم البلدان ، مادة مقد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ز - وفاتـــــه :

يلف الغموض المرحلة الأخيرة من حياة عديّ بن الرقاع، فلم يحدّد القدماء سنة وفاته إلّا ابن شاكر الكتبي، فإنه ذكر أن عدياً توفّي سنة خمس وتسعين للهجرة أو قبلها(١)، ولم يذكر الكتبي المصدر الذى استقى منه هذا التاريخ، وقد تبعه في ذلك بعض الدّارسين المحدثين ومنهم الزركلي الذى قال إنه توفي سنة خمس وتسعين للهجرة(٢)، وأخذ عن الزركلي الدكتور ياسين الايوبي (٣)، وعبدالعزيز بن محمد الزير(٤) دون تثبت من صحّة ذلك، لكن عمر رضا كحالة يذكر أن عدياً كان حياً سنة تسع وتسعين للهجرة(٥)، وإلى ذلك أشار الأستاذ خليل مردم فقال: لا يبعد أن يكون عديّ قد توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز(٦). وقول الأستاذ مردم أقرب إلى الصواب، لأنّ عدياً أدرك خلافة سليمان بن عبدالملك، ذكر ذلك ابن عبدربه(٧) وابن عساكر(٨)، واستناداً إلى ذلك يكون عديّ قد عاصر سليمان بن عبدالملك، وفي شعره ما يرجّح أنه أدرك خلافة عمر بن عبدالعزيز الذى تولّى الخلافة سنة تسع وتسعين للهجرة بعد وفاة سليمان بن عبدالملك، فقد مدح عمر بن عبدالعزيز بعد تولّيه الخلافة، ونقل ابن منظور أبياتاً من مديحه له(٩)، وتوفي عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة للهجرة، ولا يبعد أن يكون عديّ قد توفي في هذه السنة، لأنّ أخباره تنقطع بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز.

---

(١) عيون التواريخ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٥.
(٢) الزركلي : الأعلام ٤ : ٢٢١.
(٣) د. ياسين الايوبي : معجم شعراء لسان العرب ص ٢٧٩.
(٤) عبدالعزيز محمد الزير : شعراء الدعوة الإسلامية ص ١١٥.
(٥) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٢٧٤.
(٦) شعراء شاميون ص ١٨.
(٧) العقد الفريد ٢ : ٤٢.
(٨) تاريخ دمشق، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢.
(٩) لسان العرب، مادة عطس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف السياسي :

بدأ نفوذ بني أمية في الدولة الإسلامية منذ تسلم عثمان بن عفّان مقاليد الخلافة، وكان عثمان بمثابة رأس الأسرة الأموية ، فاختار بعض ولاته وعمّاله منها ،واحتلّوا مكانة مرموقة في خلافته (١) ، فولّى مروان بن الحكم على ديوانه وجعله كاتبه (٢) ، وأقرّ معاوية على الشام (٣) ، وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح على مصر (٤) ،وولّى عبدالله بن عامر على البصرة (٥) ،وولّى على الكوفة كلّا من سعد بن أبي وقّاص والوليد ابن عقبة بن أبي معيط (٦) وسعيد بن العاص وكلهم أقاربه (٧) ، وكان تعيينه بعض أقاربه في الولايات سبباً في الثورة عليه وقتله سنة خمس وثلاثين للهجرة (٨) .

وبعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليّ بن أبي طالب بالخلافة ،فسارع علي إلى عزل ولاة عثمان ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، فلم يستجب معاوية لأمر علي ،واتخذ من قتل عثمان والمطالبة بدمه وسيلة إلى الوصول إلى الخلافة ،وعلّق قميص عثمان على المنبر في دمشق ليثير أصحابه وأنصاره ،مدّعيا أن لعلي ضلعاً في قتله ، وكانت حجّته أن عليّا آوى القتلة ،وينبغي عليه أن يسلّمهم إليه لأنه وليّه (٩) ، وجرت معارك بين الطرفين كانت معركة صفّين أهمها (١٠) ، وتعتبر هذه المعركة بداية النهاية لخلافة

---

(١) محمد ضياء الدين الريس:عبدالملك بن مروان والخلافة الأموية ص ١٣ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ : ٢٤ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٥٧ .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٥٧ .
(٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٥٧ ، الأخبار الطوال ص ١٣٩ .
(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ١ : ١٥٦ ،الأخبار الطوال ص ١٣٩ .
(٦) تاريخ خليفة بن خيّاط ١ : ١٣٢ ،الأخبار الطوال ص ١٣٩ .
(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٥٧ ،د . نبيه عاقل : خلافة بني أمية ص ٤ .
(٨) د . نبيه عاقل : خلافة بني أمية ص ٤ .
(٩) الأخبار الطوال ص ١٤١ ،تاريخ الأمم والملوك ٥ : ٦ ،يوسف العش : الدولة الأموية ص ٩٥ .
(١٠) تاريخ خليفة بن خيّاط ١ : ١٧٣ ،الأخبار الطوال ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي ، وهي نقطة تحوّل مهمة ،حيث أسفرت عن ظهور ثلاثة أحزاب متصارعة هي حزب علي وحزب معاوية وحزب الخوارج . وانقلب ميزان القوى لمصلحة معاوية ،إذ انشقّ الخوارج على عليّ وأعلنوا الحرب عليه وتثاقل أهل البصرة والكوفة عن نصرته (١) ،وسقطت مصر بيد عمرو بن العاص وتبعت معاوية (٢) ، وأهم نتيجة لهذه المعركة هي مقتل عليّ على يد عبدالرحمن بن ملجم المرادي الخارجي سنة إحدى وأربعين للهجرة (٣). فبويع معاوية في السنة نفسها بالخلافة ،وبعد أن تمّ الأمر له ،استطاع أن يوحّد أمصار الدولة تحت لوائه ،وبدأ عصر جديد هو عصر الدولة الأموية.

وحاول معاوية تعيين وليّ لعهده ،فاستدعى كبار رجال الحجاز والعراق، وطلب منهم أن يبايعوا لابنه يزيد بولاية العهد (٤) ،فرفض عبدالله بن الزبير والحسين ابن علي تلك البيعة (٥) ،وبعد وفاة معاوية بدأ الصراع بين الأحزاب المختلفة على السلطة وشكّلت الزبيرية خطراً كبيراً على الخلافة الأموية ،وقد حذّر معاوية ابنه يزيد قبل وفاته من عبدالله بن الزبير قائلا : (٦) " وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ،ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب ،فذاك عبدالله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به ، فقطّعه إرباً إرباً ،إلاّ أن يلتمس منك صلحاً ،فإن فعل فاقبل منه " . وأراد يزيد انتزاع البيعة من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر بعد وفاة والده ،فكتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة يقول له : " أما بعد فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام" (٧).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ١٧٤ ،الأخبار الطوال ص١٠٢ ، ص٢١٠ ، تاريخ الامم والملوك ٥ : ٦٤ .
(٢) تاريخ الامم والملوك ٥ : ٩٤ .
(٣) الاخبار الطوال ص ٣٠٢ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ١٤٣ ،الخلافة الأموية ص ٤٥ .
(٤) تاريخ الامم والملوك ٥ : ٣١٠ ،مروج الذهب ٣ : ٢٧ ، الدولة الاموية ص ١٥٣ .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٢٢ ، أنساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص١٣ ،الاخبار الطوال ص ٢٢٧ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٣٢٢ .
(٦) الاخبار الطوال ص ٢٢٦ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٣٢٣ .
(٧) الاخبار الطوال ص ٢٢٧ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٣٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشار مروان بن الحكم على الوليد بن عتبة الإسراع في أخذ البيعة منهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ،ولكنّ الوليد تأخر في ذلك ،فخرج الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير إلى مكة ولم يتمكن من أخذ البيعة منهما (١) ، وخرج الحسين بعد ذلك إلى الكوفة فقتله عبيدالله بن زياد سنة إحدى وستين بكربلاء (٢) .

ونقض أهل المدينة بيعتهم ليزيد وخلعوه ،وحاصروا بني أمية فيها ، فبعثوا يطلبون النجدة من يزيد ،فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي في جيش من أهل الشام لإنقاذهم ،فوجد أن أهل المدينة أجلوهم عنها ،واستطاع مسلم احتلال المدينة سنة ثلاث وستين للهجرة بعد انتصاره على أهلها في موقعة الحرّة(٣) . وبعد وفاة مسلم تولى الحصين بن نمير السكوني قيادة الجيش وتوجّه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، وفي أثناء محاصرته لها بلغه خبر وفاة يزيد ، فكرّ راجعا إلى الشام بعد أن أخفق في إقناع عبدالله بن الزبير بالخروج معه إلى الشام ومبايعته بالخلافة (٤) .

وبعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، جاهر عبدالله بن الزبير بالدعوة لنفسه في الحجاز(٥) ، وبعث رسله إلى بقية الأمصار ، فبايعه أهل العراق والجزيرة واليمن ومصر ، وبايعه من الشام مركز الخلافة الأموية زفر بن الحارث بقنسرين ، والنعمان بن بشير بحمص ، وناتل بن قيس بفلسطين ، والضحاك بن قيس بدمشق ،ولم يبق مواليا

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٢٣ ،أنساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ١٣ ،الأخبار الطوال ص ٢٢٨ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٣٣٩ ،مروج الذهب ٣ : ٥٥ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٢٤ ،الأخبار الطوال ص ٢٥٩ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٤٤٩ ،مروج الذهب ٣ : ٦١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٦ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٣٠ ،أنساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ٣٦ ، الأخبار الطوال ص ٢٦٥ ،مروج الذهب ٣ : ٦٩ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٤٨ ،أنساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ٥٥ ،الأخبار الطوال ص ٢٦٧ ،تاريخ الامم والملوك ٥ : ٥٠١ ،مروج الذهب ٣ : ٨٢ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥٢ ،مروج الذهب ٣ : ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبني أمية غير أهل الاردن بزعامة حسّان بن بحدل الكلبي (١) ،وهكذا اضطرب الامر وتضاربت الاهواء ، وأوشكت السلطة الاموية على الانهيار ، وصوّر أزمن الغزاري الاوضاع بقوله (٢) :

إنّي أرى فِتَنا تَغْلي مراجِلُهـا ... والملْكُ بعْدَ أبي ليْلى لِمَنْ غَلَبا

وقال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان (٣) :

وما النّاسُ إلّا بَحْدَلِيٌّ عن الهَوى ... وإلّا زُبَيْرِيٌّ عَصا فَتَزَبَّرا

وفي وسط هذا الجو المتأزم ظهر مروان بن الحكم تسانده القبائل اليمانية ،والتف أهل الاردن حوله مبايعين له بالخلافة في مؤتمر الجابية ،واستطاع جمع ثمانية عشر ألفاً ،وفي بعض الروايات ثلاثة عشر ألفاً (٤) ،أكثرهم من القبائل اليمانية لمحاربة الضحّاك بن قيس الفهري (٥) فالتقوا بمرج راهط ،وهزمت الزبيرية ممثّلة بالضحاك الذى قتل في المعركة (٦) ،وخلصت الشام كلّها لمروان ،وبذلك انتقلت السلطة من البيت السفياني إلى البيت المرواني (٧) .

ولم يقف الشعراء بعيدين عن هذه الأحداث ،بل كانوا في طليعة الصراع السياسي والعسكري المحتدم ،وكان لكلّ جماعة من الجماعات المتصارعة شعراء ينافحون عنها

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٧ ، أبو تمام : نقائض جرير والاخطل ص ٦ ،اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٦ ،تاريخ الامم والملوك ٤ : ٤٠٨ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٧ ، تاريخ الامم والملوك ٥ : ٥٥٠ (حان أولها،دون نسبة) مروج الذهب ٢ : ٧٢ (هاجت مراجلها،دون نسبة) .

(٣) أنساب الاشراف ٥ : ١٣٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٩ .

(٥) ابن أعثم : كتاب الفتوح ٥ : ٣١٢ ،د . حسين عطوان : شعراء الدولتين الاموية والعباسية ص ٢٥ .

(٦) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٩ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥٥ ،أنساب الاشراف ٥ : ١٣٦ تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٦ ،مروج الذهب ٣ : ٨٧ .

(٧) شعراء الدولتين الاموية والعباسية ص ٢٥ ،عبدالملك بن مروان والدولة الاموية ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحدّثون باسمها ،فوقف عبيد الله بن قيس الرقيات إلى جانب ابن الزبير ،فقاتل معه بلسانه وسيفه ،وعرض ببني أمية وأنصارهم وحثّهم على القتال لإنقاذ الخلافة الإسلامية من أيدى الطامعين .

والتفّ حول بني أمية مجموعة من الشعراء على رأسهم الأخطل التغلبي وشعراء قبيلة كلب ،ووقف عديّ بن الرقاع العاملي إلى جانبهم يناصرهم بلسانه ،ويدافع عنهم وعن موقفهم السياسي وحقّهم في الخلافة ،وظهر موقفه السياسي المؤيد لهم في حديثه عن معركة مرج راهط ،يقول :

لَوْلا الإلٰهُ وأَهْلُ الأرْدُنِ اقْتُسِمَتْ ... نارُ الجَماعَةِ يَوْمَ المَرْجِ نيرانا (١)

كانوا زواراً لأهْلِ الشّامِ قد عَلِموا ... لمّا رأَوْا فيهمُ جورا وطُغيانا (٢)

وتعصّب عديّ للأمويين ودافع عنهم ،وجاء موقفه هذا منسجماً مع موقف القبائل اليمانية التي ارتفعت مكانتها في الشام ،واحتلت مواقع مرموقة فيها ، فقدّمها الأمويون على غيرها ،وأسندوا إلى رجالاتها الوظائف المهمة في الدولة ،وتمسك عبد الملك بن مروان بها ، فكانت تشكل صلب جيشه في الشام (٣) ، ووقفت بجانبه في صراعه مع عبد الله ابن الزبير وشيعة علي بن أبي طالب (٤) .

---

(١) معجم البلدان : مادة أردن .

(٢) التكملة والذيل والصلة : مادة زور ،لسان العرب ،مادة زور ،التاج ،مادة زور .

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ٢٨٦ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٦٤ ،أنساب الأشراف ٥ : ٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقات عديّ بالخلفاء والأمراء الأمويين :

ارتبط عديّ بعلاقات طيّبة مع الخلفاء والأمراء الأمويين الذين عاصرهم ، فقد اتصل بعبدالملك بن مروان وابنه الوليد بن عبدالملك ،واتصل بعمر بن الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ،كما اتصل بعدد من رجالات عصره ،فكانت علاقته متينة مع عبيدة بن عبدالرحمن السلمي ،ومدح يزيد بن المهلب وعمر بن هبيرة .

وأخلص عديّ في ولائه للأمويين إخلاصا أدى إلى ارتقائه سلّم الشهرة في بلاطهم فاحتلّ مكانة عالية من أنفسهم ،وأصبح شاعر بني أمية الذى لا ينازع في عهد الوليد ابن عبدالملك .

علاقة عديّ بعبدالملك بن مروان :

لم يكن في يد عبدالملك بن مروان حين ولي الخلافة غير مصر والشام (١)،وكانت الدولة بحاجة إلى تثبيت سلطانها ،فقد أعلن الخوارج ثورتهم على بني أميّة ،وكان رجال الشيعة في العراق يتأهبون وينظمون صفوفهم استعدادا للقيام بثورتهم وتكوين دولة لهم ، وجلّ غضبهم منصبّ على بني أميّة الذين اغتصبوا الخلافة من آل البيت ،وأساءوا إليهم وقتلوا كبار أئمتهم (٢) . واستولى مصعب بن الزبير على العراق ،ودانت الحجاز لأخيه عبدالله بن الزبير ، وانتهز الروم فرصة الانقسام التي كانت الدولة تعاني منها ، وأخذوا يغيرون على الثغور الإسلامية ، فهادنهم عبدالملك بن مروان وصالحهم ودفع لهم الجزية ،لكي يتفرغ للقضاء على الفتن الداخلية ،ويتمكن من توطيد أركان حكمه (٣) .

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ٣٠ ، ١٦٨ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٥٧ ، الأخبار الطوال ص ٢٨٦ .
(٢) عبدالملك بن مروان والدولة الأموية ص ١٦ .
(٣) البلاذري : فتوح البلدان ٢ : ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجهّز عبد الملك جيوشه ،وتوجّه على رأسها إلى العراق لمحاربة مصعب بن الزبير ،فالتقوا بدير الجاثليق سنة اثنتين وسبعين للهجرة(١) ، وقتل مصعب في هذه المعركة ، وتمكّن عبد الملك من إحراز النصر ،وضمّ العراق إلى ملكه ،فقال عديّ ابن الرقاع يعرض بمصعب بن الزبير ويمدح عبد الملك بن مروان بعد انجلاء الموقف(٢) :

لَعمرى لقدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا ... بأكنافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
إذا ما مُنافِقُ أهلِ العِرا ... قِ عُوتِبَ ثمّتَ لَمْ يُعْتِبِ
دَلَفْنا إِلَيْهِ بِذى تُدْرَأٍ ... قليلِ التَّفَقُّدِ لِلْغَيْبِ
يَهُزّونَ كلّ طويلِ القَنا ... ةِ مُلْتَئِمِ النَّصْلِ والشَّعْلَبِ
كأنّ رُكَاهُمْ إذا ما غَدَوْا ... ضَجيجُ قطا بَلَدٍ مُخْصِبِ
فقدّمَنا واضحٌ وجْهُهُ ... كريمُ الضَّرائبِ والمَنْصِبِ
أُعِينَ بنا ونُصِرْنا بِهِ ... ومنْ يَنْصُرِ اللّهُ لا يُغْلَبِ

ويظهر من شعر عديّ أنه شهد المعركة ،وكان أحد فرسانها الذين واجهوا الأعداء بصلابة وشجاعة ، وقد نال من مصعب واتهمه بالنفاق ،وذكر فضل قومه في نصرة بني أمية واستماتتهم في الدفاع عن خلافتهم .

وعلى الرغم من أن عديّا أدرك خلافة عبد الملك كلّها ،فإن ما وصل إلينا من أخباره وأشعاره لا يدلّ على وجود صلة مميّزة بينهما ،ولم نعثر في شعره على مدح لعبد الملك سوى الأبيات السابقة ،وهي تدل على موقف سياسي اتخذه عديّ من حركة ابن الزبير ، وهو موقف مستوحى من موقف قبيلته اليمانية التي ساندت بني أمية ،وهو ينوه بفضل قومه

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ١٦٩ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٦٤ ،أنساب الأشراف ٥ : ٣٤٢ ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ،مروج الذهب ٣ : ١٠٨ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٦ : ١٥١ ،وقد وردت هذه المقطوعة بروايات مختلفة في كل من : أنساب الأشراف ٥ : ٣٤٢ ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ،الأغاني ٩ : ٢٩٨ ، ١٩ : ٦٢ ، مروج الذهب ٣ : ١٠٩ (بدون نسبة) ،تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ ،النويري : نهاية الأرب ٤ : ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم ، ولعلّ مدائحه في عبد الملك ضاعت ،ومن المحتمل أن يكون احتفاء عبد الملك بالاخطل التغلبي وايثاره له (١) ،قد صرفه عن الاحتفاء بعديّ بن الرقاع.

علاقة عديّ بالوليد بن عبد الملك وأبنائه :

ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة ست وثمانين للهجرة في اليوم الذى توفي فيه والده عبد الملك بن مروان (٢) ،وكان عبد الملك قد قضى على الفتن الداخلية ،ووطّد أركان الحكم ،ونشر الامن في ربوع الدولة ،فأتاحت هذه الظروف للوليد التفرغ للاصلاحات الداخلية ومقارعة أعداء الإسلام في الشرق والغرب ،فوجّه عنايته إلى الفتوح والعمران وكان عهده عهد رخاء وازدهار ،وهو من أكثر خلفاء بني أمية اشتغالاً بالجهاد وحماية للثغور (٣) ، ففي سنة ثمان وثمانين للهجرة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد الطوانة ،وهزم الروم في هذه المعركة (٤) ، فقال عديّ بن الرقاع مبتهجاً بهذا الفتح ،مشيداً بالنصر الذى عزّز مكانة الأمة الإسلامية : (٥)

وكانَ أمْرُكَ مِنْ أهْلِ الطُّوانَةِ مِنْ ... نصرِ الّذي فَوْقَنا واللّهُ أعْطانا
أمراً شَدَدْتَ بإذنِ اللّهِ عُقْدَتَهُ ... فَزادَ في دينِنا خيراً وَدُنْيانا

وقرّب الوليد إليه القبائل القيسية ، وأسند إلى رجالاتها بعض المناصب المهمة في الدولة ،وأبقى على علاقاته الطيبة مع القبائل اليمانية ،فبقيت هذه القبائل على ولائها له ،وأخلصت في مناصرته ،كما قرب الوليد إليه عديّ بن الرقاع ،واتخذه شاعراً لبني أمية ،وقويت الصلة بينهما ،وعظمت مكانة عديّ عند الوليد ، فقدّمه وآثره على غيره

---

(١) الاغاني ٨ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ .
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٠٢ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٨٣ ،تاريخ الامم والملوك ٦ : ٤٢٣ ،مروج الذهب ٣ : ١٥٦ .
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤ .
(٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٠٥ ،تاريخ الأمم والملوك ٦ : ٤٣٤ .
(٥) معجم البلدان : مادة طوانة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الشعراء ،وأغدق عليه الأموال والعطايا ، وأشار عديّ إلى ذلك فقال (١) :

قَدْ حَباني الوَليدُ يَوْمَ أُسَيْسٍ بِعِشارٍ فيها غِنىً وَسَهاءُ

وفسح الوليد لعديّ في مجلسه ،فأنشده عديّ أروع قصائده ونوّه بمكانته وخصاله ومآثره ، وكاد الوليد يبطش بجرير حين همّ بهجاء عديّ بن الرقاع لمكانة عديّ عنده (٢)، وليس عجيبا أن يستأثر عديّ بحب الوليد الذى لم يحتفل بالأخطل ،لأنه كان مختصّا بوالده ،ولم يكن الوليد متسامحاً مع النصارى ،إذ هدم بيعة لهم عندما سمع أجراسها(٣)، وبنى الجامع الأموي مكان إحدى كنائسهم (٤) ، فأبعد الأخطل عن البلاط وقرّب إليه عديّ بن الرقاع .

وكان عديّ شديد الولاء لبني أمية ،فاتخذ سياستهم منهجا له ودافع عنها ، ومدائحه في الوليد تعدّ من أجمل شعره وأحسنه ، فبيّن في مدائحه شجاعة الوليد وإصلاحاته وصفاته الإسلامية ، ودافع عن حقّه في الخلافة ،وبيّن أن الأمة ألقت إلى الوليد مقاليد أمرها فقادها وجمع شملها ونصر المظلومين . وذكر أبو الفرج أن الوليد ابن عبد الملك كتب إلى عامله على مكة أن يشخص إليه ابن سريج ،فلمّا مثل بين يديه غنّاه بشعر الأحوص بن محمد الأنصارى في مدحه ،فأمر الوليد بإشخاص الأحوص، ثمّ غناه ابن سريج بشعر عديّ بن الرقاع في مدح الوليد :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها مِنْ بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أبْلادَها

فأمر الوليد بإحضار عديّ بن الرقاع . وعندما وصل الشاعران إلى الوليد أمر بانزالهما إلى جنب ابن سريج ،فقالا لابن سريج : " والله لقرب أمير المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولى بني نوفل ،وانّ في قربك لما يلذنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أوقلة شكر ! فقال له عديّ : كأنك يا ابن اللخناء تمن علينا ،علىّ وعليّ إن جمعنا وإيّاك سقف بيت أو صحن دار إلّا عند أمير المؤمنين " وخرج عديّ

---

(١) معجم البلدان : مادة أسيس .
(٢) طبقات الشعراء ص ٨٩ ،الأغاني ٩ : ٣٠٧ ، ٨ : ٨٠ .
(٣) مروج الذهب ٣ : ١٦٦ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ٦ : ٤٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من عندهما ،فبلغ الوليد ما جرى بينهم ،فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً ، وأرخى دونه سِتراً ،ثمّ أمره إذا فرغ الأخوص وعديّ من كلمتيهما أن يغني ،فلما دخلا وأنشدا ، مدائحهما فيه ،رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه ، وضرب بعوده ،فأعجب الحاضرون بصوته وحسن غنائه ،ودهش عديّ إذ عرف أن الصوت الذى سمعه هو صوت ابن سريج ، وقال : حقّ لهذا أن يحمل ثلاثاً ، ثمّ أمر الوليد للشاعرين وابن سريج بمال وارتحل القوم (١) . ويدل هذا الخبر على علاقة عديّ بن الرقاع الحميمة بالوليد بن عبد الملك .

وذكر ابن عبد ربه أن عديّاً كان يجالس سليمان بن عبد الملك ويسامره ،وأنه طلب منه أن ينشده قوله في الخمر: (٢)

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ وردةٌ لها في عظامِ الشاربينَ دبيبُ
تريكَ القذى من دَنِّها وهْي دُونَهُ لوجهِ أخيها في الإناءِ قُطُوبُ

فأنشده عديّ ذلك الشعر ،فقال سليمان : شربتها وربّ الكعبة ! فأجابه عديّ : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها ،قد رابني معرفتك بها ، فتضاحكا وأخذا في الحديث .

والراجح أن الوليد بن عبد الملك هو الذى طلب من عدي إنشاده قوله في الخمر لما بينهما من صداقة قوية ،ويستبعد أن يكون قد أنشد شعره السابق في مجلس سليمان ابن عبد الملك بسبب فتور العلاقة بينهما . وروي هذا الخبر على وجوه مختلفة في بعض المصادر ، فرواه أبو الفرج مع تغيير بسيط في مفرداته ،وذكر في روايته أن أبا الأقرع عبد الله بن حجاج الشاعر دخل على الوليد بن يزيد ،فسأله الوليد أن ينشده شعره

---

(١) الأغاني ١ : ٢٨٢ ، ٩ : ٣٠٦ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٩ نهاية الأرب ٤ : ٢٥٨ .
(٢) العقد الفريد ٤ : ١٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٤٢٦ ، بهاء الدين العاملي : المخلاة ص ٣٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الخمر(١)، وأبو الاقرع عبد الله بن حجاج لم يدرك خلافة الوليد بن يزيد فيما وصل إلينا من أخباره وأشعاره(٢).

أما الشريف المرتضى فذكر في روايته أن الوليد بن يزيد طلب من عدي بن الرقاع أن ينشده قوله السابق في الخمر(٣)، وقد رجح أن عديّا توفي في عهد عمر بن عبد العزيز ولم يدرك خلافة الوليد بن يزيد.

وأدار ابن عبد البر هذا الخبر بين عديّ بن الرقاع ومعاوية بن أبي سفيان(٤)، وهو أمر مستبعد لأن عديّا لم يحضر مجالس معاوية، ولم تظهر شاعريته في عهده، وإنما بدأ قول الشعر في عهد يزيد بن معاوية.

ونسب علاء الدين الغزولي هذا الخبر إلى أعرابي لم يسمّه، وغيّر اسم الخليفة فجعله عبد الملك بن مروان، كما غيّر في بعض مفردات النص وألفاظ الشعر، وحافظ على مضمون الرواية(٥).

ولم تقتصر علاقة عدي على الوليد وحده، بل اتصل بأبنائه، وكانت له صلة طيبة بابنه عمر، وكان يحضر مجالسه، قال الصولي(٦): " قال عديّ بن الرقاع: ما أسمعت عمر بن الوليد بن عبد الملك مديحا قط إلّا كدت أسمع حديث نفسه بحبائي، قال: فوالله إنّي بعد هذا الحديث لفي مجلس عمر، إذ دخل عليه عديّ فأنشده شعراً فيه، فدعا مولىً له فقال: هات نقيضة هذه القصيدة، فظننت أنه ينشده شعراً، فأتى ببدرة فيها عشرة آلاف درهم، فدفعها إليه ".

---

(١) الأغاني ٧: ٥٤، بهاء الدين العاملي: الكشكول ٢: ٧٤.
(٢) أنظر: د. حسين عطوان: الوليد بن يزيد: عرض ونقد ص ٢٢٩.
(٣) الشريف المرتضى: الامالي ١: ٢٧٧
(٤) بهجة المجالس ١: ٩٤.
(٥) الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور ص ١٣٩.
(٦) الصولي: أخبار أبي تمام ص ٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه الرواية تشير إلى حفاوة عمر بن الوليد بعديّ بن الرقاع وتشير أيضا إلى إعجابه بشعره ،ولعديّ قصيدة في مدح عمر بن الوليد يقول فيها (١) :

وإذا نَظَرْتُ إلى أميرى زادَني ضنّاً به نَظري إلى الأمْراءِ

ولعديّ أبيات في تهنئة عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك تدلّ على إيثار المروانيين له وعنايتهم به ، فحين تزوج عبدالعزيز أم حكيم في حياة جدّه عبدالملك بن مروان ،أمر عبدالملك بإدخال الشعراء إليه ليقولوا في زواجهما أشعاراً يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع ،فدخلا عليه وبدأ عدي لموضعه فقال :

قَمَرُ السَّماءِ وشَمْسُها اجْتَمَعا بالسَّعْدِ ما غابا وما طَلَعا
ما وارتِ الاسْتارُ مِثْلَهُما مَنْ ذا رأى هٰذا وَمَنْ سَمِعا
دامَ السُّرورُ لَهُ بِها ولَها وتَهَنَّيا طولَ الحَياةِ مَعا

وقال جرير أبياتا منها :

جَمَعَ الأَمِيرُ إلَيْهِ أكْرَمَ حُرَّةٍ في كلِّ ما حالٍ منَ الأحْوالِ

فأمر له عبدالملك بعشرة آلاف درهم ،ولعديّ بن الرقاع بمثلها (٢) .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٥١٧ ،نهاية الأرب ٣ : ٧٥ ،ابن معصوم : أنوار الربيع ٢ : ٩٢ .

(٢) عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ، الاغاني ١٦ : ٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة عديّ بسليمان بن عبد الملك :

لم يحظ عدي عند سليمان بن عبد الملك بمكانة مرموقة ،ولم يصل إلينا من أخباره معه إلّا القليل ،وما وصل إلينا يدلّ على أن سليمان لم يحفل به كما حفل به أخوه الوليد . يقول ابن عبد ربه : " لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن : اجمع يدي عديّ بن الرقاع إلى عنقه ،وابعث به إليّ على قتب بلا وطاء ،ووكل به من ينخس به ،ففعل ذلك ،فلمّا انتهى إلى سليمان بن عبد الملك أُلقي بين يديه لا روح فيه فتركه حتى ارتدّت إليه روحه ثمّ قال له : أنت أهل لما نزل بك ، ألست القائل في الوليد :

مَعاذَ رَبّيَ أنْ نَبْقى وَنَفْقِدَهُ وأنْ نكونَ لراعٍ بعدَهُ تَبَعا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت،وإنما قلت :

مَعاذَ رَبّيَ أنْ نَبْقى وَنَفْقِدَهُم وأنْ نكونَ لراعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعا

فنظر إليه سليمان واستضحك ،وأمر له بصلة ،وخلّى سبيله " (١) .

وهذا الخبر يدل دلالة واضحة على سخط سليمان بن عبد الملك على عديّ ابن الرقاع وترويعه له .

ونقل ابن عساكر الخبر السابق مع تغيير بسيط في مفرداته (٢) ، ويظهر أنه استقاه من ابن عبد ربه لتشابه الروايتين إلى حدّ بعيد . وروى أبو الفرج أن الفرزدق وجريراً وكثيراً وعديّ بن الرقاع اجتمعوا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال : أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً ، فبدرهم الفرزدق فقال أبياتا منها :

وما قَوْمٌ إذا العلماءُ عُدَّتْ عروقُ الأكْرَمينَ إلى التُّرابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا ،فوالله ما ترك لكم مقالاً " (٣) . وهذه الرواية تدلّ أيضا على رضة سليمان بن عبد الملك عن الاستماع إلى شعر عديّ بن الرقاع.

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٤٢ .
(٢) تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ .
(٣) الاغاني ٢١ : ٣٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة عديّ بعمر بن عبد العزيز :

لم تكن علاقة عدي بعمر بن عبد العزيز كعلاقته بالوليد بن عبد الملك ،فحين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة لم يكن يسمح للشعراء بالدخول عليه ،وإنما كان يسمح للقراء والفقهاء وأهل الدين فقط. وإذا دخل عليه أحد الشعراء كان يقول له : قل ولا تقل إلّا حقّا ،فإن الله سائلك يوم القيامة عمّا قلت . إلّا أن عديّا مدحه ونال جائزته . فقد روى الزمخشري أن عديّا وفد على عمر بن عبد العزيز ،فلم يؤذن له ،فقال للآذن : أعلم أمير المؤمنين أنّي قلت شعراً أوله الحمد لله ،فأذن له ،فقال عديّ : (١)

الحمدُ لِلّهِ أمّا بعدُ يا عُمَرُ ... فقدْ أتَتْكَ بنا الأحداثُ والغِيَرُ

وأنتَ رأسُ قريشٍ وابنُ سيّدِها ... والرأسُ يُجْعَلُ فيها السّمْعُ والبَصَرُ

فأمر له بحلية سيفه .

ومدحه بقصيدة قال فيها :(٢)

لَوْلا اختياري أبا حفصٍ وطاعَتَهُ ... كانَ الهوى منْ غداةِ البَيْنِ يَمْتَزِمُ

ونقل ابن منظور أبياتاً أخرى في مدحه (٣) .

---

(١) ربيع الأبرار ٣ : ٢٤٣ .
(٢) معجم البلدان : مادة هدم .
(٣) لسان العرب: مادة عطس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة عديّ بالشعراء المعاصرين :

تميّزت العلاقة بين عديّ بن الرقاع وبين بعض الشعراء المعاصرين له بالتنافس والحسد ، ولعلّ علوّ المنزلة التي تمتّع بها عديّ في بلاط الوليد بن عبد الملك كان الدافع القوي إلى حسد الشعراء له ونيلهم منه ، وسعيهم إلى إقصائه عن بلاط الوليد .

ونقلت بعض المصادر أخباره مع الشعراء مثل جرير وكثير عزّة وعبيد بن حصين الراعي ، وهي تشير إلى ما كان بينه وبينهم من خلاف في مجالس الوليد بن عبد الملك .

علاقة عديّ بجرير :

لم يكن عديّ على وفاق مع جرير ، فقد نفس عليه جرير الحفاوة التي كان يقابل بها في مجلس الوليد بن عبد الملك ، وليس أدلّ على ذلك من الأخبار التي وردت في بعض المصادر ، والتي تشير بوضوح إلى حسد جرير له ، ولا ندري سبباً للخصومة بين الشاعرين غير هذا السبب ، فقد اجتمع الشاعران في أحد مجالس الوليد بن عبد الملك ، فسأل الوليد جريراً عن عديّ ، فأنكر معرفته به ، وحاول النيل منه في ذلك المجلس ، لولا تدخّل الوليد وانتصاره لعديّ وتهديده لجرير .

قال ابن سلام (١) : " دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده ابن الرقاع العاملي ، فقال لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . قال : هذا رجل من عاملة . قال : الذين يقول الله جلّ ثناؤه (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً) ، ثمّ قال :

يُقَصِّرُ باعُ العامِلِيِّ عَنِ العُلى ... ولكنَّ العامليَّ طويلُ

---

(١) طبقات الشعراء ص ٨٩ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ ، ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ : مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال العاملـــي :

أَأَنَّـكَ كانَتْ أَخْبَرَتْكَ بطولِـهِ ... أَمِ أَنتَ امروءٌ لَمْ تدرِ كيفَ تقولُ

فقال : لا بل لم أدر كيف أقـول . فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبّلها وقال : أجرني منه ،فقال الوليد لجرير : لئن سميته لأشرجنّك ولألجمنّك وليركبنّك فتعـــيّرك بذلك الشعراء . فكنى جرير عن اسمه فقـال :

إنّي إذا الشّاعِرُ المَغْرورُ حَرَّبَني ... جارٌ لقبرٍ على مرّانَ مَرْمـــوسِ

قدْ كانَ أَشْوَسَ أَبّاءً فأَوْرَثَنـــا ... شَغْباً على النّاسِ في أبنائِنا الشّوسِ

أَقْصِرْ فإنّ نِزاراً لن يفاخِرَهُـــمْ ... فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مَفْـــروسِ

وابنا نِزارٍ أَحَلّاني بمَنْزِلَـــةٍ ... في رأسِ أَرْعَنَ عاديِّ القَدامِيـــسِ

وابنُ اللّبونِ إذا ما لُزَّ في قَـرَنٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعيـسِ

ولخّص أبو الفرج في حديثه عن عديّ هذا الخبر بقولـه : " وقد تعرض لجرير وناقضـــه في مجلس الوليد بن عبد الملك ،ثمّ لم تتم بينهما مهاجاة ،إلّا أن جريراً قد هجاه تعريضـا في قصيدتـــه :

" حَيِّ الهِدَمْلَةَ مِنْ ذاتِ المواعيـــسِ " (١) .

ولم يصرّح لأنّ الوليد حلف إن هو هجاه أشرجه وألجمه وحمله على ظهره ،فلم يصـــرّح بهجائـــه " .

وفي موضع آخر نقل أبو الفرج الخبر بنصّه عن ابن سلام ونقله في مواضع أخـــرى بروايات مختلفـة (٢) ،دون أن يعطي رأيه فيها ،وكان يذكر في مطلع كل رواية أن عديّـاً وجريراً اجتمعا في مجلس الوليد بن عبد الملك ،ثمّ يسرد بقيّة الروايـــة .

ولعلّ اتفاق الروايات التي نقلها أبو الفرج في المضمون ،وعدم وجود فروق كبيرة في تفاصيلها ،هو الذي جعله ينقلها إلينا على تلك الصور دون التعليق عليها . وهـذا

---

(١) الاغاني ٩ : ٣٠١ .
(٢) الاغاني ٩ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا ينفي وقوع هذه المنافرة بين الشاعرين في مجلس الوليد ، ووقوف الوليد إلى جانب عديّ وتهديده لجرير .

وحاول بعض الرواة استغلال هذه الحادثة ليبني عليها أحكاما تدل على تجاهل جرير لشخصية عدي ، والصحيح أن جريراً كان يعرف عدياً قبل خلافة الوليد بن عبد الملك إذ ا جتمع الشاعران في مجلس عبد الملك بن مروان لتهنئته بتزوج عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك أم حكيم ، ونالا جائزته (١) . ولا يعقل أن يتهجّم جرير على شاعر لا يعرفه ، ولم ينخرط في صفوف أعدائه الذين هجوه ، ولمّا يعلم مكانته الشعرية ، وجرير بحاجة إلى من يقف بجانبه ضد أعدائه ، والصحيح أن جريراً حسد عدياً لتمتّعه بمكانة مرموقة عند الوليد ، فحاول هجاءه لإسقاطه وإغراء الخليفة بإبعاده عن بلاطه ولكنه فشل في ذلك بسبب انحياز الخليفة إلى عديّ ووقوفه إلى جانبه .

ونقل أبو الفرج رواية أخرى على لسان مخارق بن الأخضر القيسي تدور حول العداء بين جرير وعدي فقال (٢) : " كان جرير يجيء إلى باب الوليد ، فلا يجالس أحداً من النزارية ، ولا يجلس إلّا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل ، فقلت له : يا أبا حزرة اختصصت عدوّك بمجلسك فقال : انّي والله ما أجلس إليه إلّا لانشده أشعاراً تخزيه وتخزي قومه . قال : ولم يكن ينشده شيئاً من شعره ، وإنما كان ينشده شعر غيره ليذله ويخوّفه نفسه ، فأذن الوليد للناس ذات عشيّة ، فدخلوا ودخلنا ، فأخذ الناس مجالسهم واطمأنوا فيها ، فبينما هم كذلك ، إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها إلى بعض ، فقال الوليد : والله لهممت أن أخرجه على ظهرك إلى الناس . فقال جرير :

فان تنتهي عنه فَسَمْعاً وطاعَةً ... وإلّا فإنّي عُرْضَةٌ للمَراجِمِ

---

(١) عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ، الأغاني ١٦ : ٢٠٩ .
(٢) الأغاني ٨ : ٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعداوة بين عديّ وجرير واضحة في هذه الرواية التي نقلها أبو الفرج ، ولكنّه لم يبيّن سببها ، وما كان بين الشاعرين من مشكلات حدت بجرير إلى التحامل على عديّ وعلى قبيلته في مجلس الخليفة ، ونستطيع أن نستخلص منها أن السبب الذى يقف وراء هذه العداوة هو الحسد .

ووقف جرير مرّة أخرى في مجلس الوليد بن عبد الملك ضدّ عدي بن الرقاع محاولاً النيل منه ، فقد ذكر كثير بن عبد الرحمن وعدي بن الرقاع في ذلك المجلس، فاستروا فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير: " لقد قال كثير بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عديّ بن الرقاع نفسه " (١) .

وهجاه جرير فقال : (٢)

وَلَقَدْ قَسَمْتُ لِذِي الرِّقاعِ هَدِيَّةً ... وَتَرَكْتُ فيهِ وَهِيَّةً لا تُرْقَعُ

إن محاولات جرير المتكررة للنيل من عديّ في مجلس الوليد لم تفلح في إبعاده عن بلاط الخليفة .

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٢ ، عيون التواريخ : مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٦ .
(٢) أبو عبيدة : نقائض جرير والفرزدق ص ٩٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة عديّ بكثير بن عبد الرحمن :

لم تكن العلاقة بين عديّ وكثير علاقة مودة وصفاء ،فقد انتابها شيء من المنافسة لما كان يبلغ كثيراً من أن عدياً يقدح في شعره ويحطّ من قيمته . فحاول كثير الانتقام من عديّ في مجلس الوليد بن عبد الملك. قال أبو الفرج (١) : " أنشد عديّ بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

" عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّما فاعْتادَها "

وعنده كثير ، وقد كان بيلغه عن عديّ أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازي مغرور إذا أصابه قر الشام جمد وهلك ،فأنشده إياها حتى أتى على قوله :

وقَصيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا ... حتّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها

فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً لم تأت فيها بميل ولا سناد ،فتحتاج إلى أن تقوّمها . ثم أنشد :

نَظَرَ الشَّقِفِ في كُعوبِ قَناتِهِ ... حتّى يقيمَ ثِقافُهُ مُنآدَها

فقال كثير : لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ،ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها . ثم أنشد :

وَعَلِمْتُ حتّى ما أُسائِلُ واحِداً ... عنْ عِلْمِ واحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدادَها

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام ،فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك ،وما كنت قط أحمق منك الآن حين تظنّ هذا بنفسك ،فضحك الوليد ومن حضر ، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق ".

فإن صحّت هذه الرواية ،فما الذي يعيب عديّ بن الرقاع؟ هل تثقيفه لشعره وتنقيحه له يعدّ في رأي كثير عيباً؟

والمعروف أن كثيراً كان من أصحاب الحوليات الذين ينظمون القصيدة في حول ، فيسجّل الشاعر ما يتيسّر له من أبيات ،ويضمّ إليها غيرها ،ثمّ يحذف ما يراه غير مناسب،

---

(١) الأغاني ٩ : ٣١٠ ،عيون التواريخ ،مخطوطة المكتبة الظاهرية ٥ : ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينقحها وينسقها حتى تستوي في الجودة ،وبعدها يذيعها بين الناس (١) .

وكان كثير راوية جميل بثينة ،وهو من مدرسته التي اشتهرت بهذا الأسلوب، فكيف يعيب على عديّ ما كان يبيحه لنفسه ؟

علاقة عديّ بالراعي النميري وغيره :

لم تكن علاقة عديّ بالراعي النميري حسنة ،فقد وقعت بينهما مهاجاة لا ندري سببها ،فهجاه الراعي النميري بقصيدتين (٢) ،حاول في إحداهما النيل من نسبه (٣) ، فردّ عديّ عليه (٤) .

وتعرّض لعديّ بالهجاء يحيى بن أبي حفصة الأموي (٥) ،وأبو القعقاع بحر ابن السقا (٦) ،كما حاول جماعة من الشعراء معارضته ومهاجاته ،فتصدّت لهم ابنته سلمى وأخمتهم (٧) .

---

(١) أنظر: الشعر والشعراء ص ٣٣ ، الأغاني ٨ : ٩٢ .
(٢) ديوان الراعي النميري ص ١٠ ،ص ٧٨ .
(٣) ديوان الراعي النميري ص ٧٨ ،الحيوان ٤ : ٣٣٦ ، العمدة ٢ : ١٨٩ ، زهر الآداب ١ : ٤٧ .
(٤) الاغاني ٩ : ٣٠٨ ،ابن عبد البر : الإنباه على قبائل الرواه ص ١٠٣ .
(٥) زهر الآداب ١ : ٤٧ .
(٦) البرصان والعرجان والعميان ص ٢٦٣ .
(٧) طبقات الشعراء ص ٨٩ ،الحيوان ٣ : ٦٤ ،الشعر والشعراء ٤١٥ ، الاغاني ٩ : ٣٠٤ ،معجم الشعراء ص ٨٧ ، بهجة المجالس ١ : ١٠٥ ،ربيع الأبرار ٢ : ١٨٤ ،تاريخ دمشق مصورة الجامعة الأردنية ١٩ : ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : المديـــح

عاصر عديّ ستة من خلفاء بني أمية ،فحصر مدائحه فيهم وفي غيرهم من أمرائهـــم وبعض عمالهم ، وتغنّى بعزّهم ومجدهم وسجاياهم العربية الأصيلة ، من ســـؤدد ورأي وحزم وكرم وجود ونخوة وغيرها ،كما تغنّى بأخلاقهم الإسلامية الحميدة من طهـــر وورع وصلاح وتقوى ،وقد هيأتهم هذه الخصال لقيادة الأمة الإسلامية ،فحازوا الخلافـــة ، وساسوا الأمة أحسن سياسة ، وخصّ الوليد بن عبد الملك بأروع مدائحه ،فنوّه بنسبـــه العربي الناصع ومجده التليد ،وأضفى عليه الصفات الإسلامية ،فجاءت مدائحه فيـــه نموذجا يحتذى في مدح الخلفـــاء .

إن نشأة عديّ في بلاد الشام ،وانتماءه إلى القبائل اليمانية التي ســـاندت خلفاء بني أمية في حروبهم مع الزبيرية من القبائل القيسية ،وما حظيت به من اهتمام فـــي ظل بني أمية ،كل ذلك أدى بعدي إلى موازرة بني أمية بلسانه وسيفه ،فكان فارســـا محاربا من فرسان دولتهـــم .

ورأيت أن أتناول مدائحه في بني أمية مرتّبة ترتيباً زمنياً ،فأبدأ بمدحه لعبد الملك ابن مروان ،ثم أعرض لمدائحه في الوليد بن عبد الملك وابنه عمر ، وأنتقل بعدها الـــى مدائحه في عمر بن عبد العزيز ،وأما مدائحه في عمال بني أمية ،فرأيت أن أرجيء الحديث عنها إلى نهاية حديثي عن مدائحه في بني أمية لقلة ما وصل إلينا منهـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- مديحه في عبد الملك بن مروان :

أول ما وصل إلينا من مدائح عدي في بني أمية مقطوعة قالها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق سنة اثنتين وسبعين للهجرة ،إذ جهّز عبد الملك جيوشه وقادها بنفسه متوجّها إلى العراق لمحاربة مصعب، فالتقوا بدير الجاثليق ،وهُزم الزبيريون ،وقُتل مصعب قرب باخمرا (١) ، وكان عدي أحد فرسان عبد الملك الذين شاركوا في هذه المعركة ،فأشاد بمنزلة عبد الملك وشجاعته وقيادته لجيوشه ،وبيّن موقف القبائل اليمانية المؤيدة لخلافته ، ونوّه بنصرتها له على أعدائه ،ووقوفها إلى جانبه في معاركه مع الزبيرية من القبائل القيسية ، ومساندتها له في معاركه مع الشيعة وثباتها على ولائها لبني أمية ،فاحتفظ عبد الملك لها بمنزلة مرموقة في دمشق ،وظلّ يتمسّك بها ويعتمد عليها ،فكانت تشكّل صلب جيشه في الشام (٢) ،ممّا عزّز موقفه وعجّل له بالفوز ،يقول (٣) :

فَقَدَّمَنا واضحٌ وَجْهُهُ ... كَريمُ الضرائبِ والمَنْصِبِ (٤)
أُعينَ بنا وَنُصِرْنا بهِ ... ومنْ يَنْصُرِ اللّهُ لا يُغْلَبِ
فداؤُكَ أُمّي وأبناؤُها ... وإنْ شِئْتَ زِدْتُ عليها أبي
وما قُلْتُها رَهْبَةً إنّما ... يَحِلُّ العِقابُ على المُذْنِبِ

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ١٦٩ ،تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٦٤ ،أنساب الاشراف ٥ : ٣٤٢ .
(٢) الوليد بن يزيد :عرض ونقد ،ص ٤١٢ .
(٣) أنساب الاشراف ٥ : ٣٤٢ ، الاخبار الطوال ص ٣١١ ، تاريخ الامم والملوك ٦ : ١٥١ ،مروج الذهب ٣ : ١٠٩ ،الاغاني ٩ : ٢٩٨ ، ١٩ : ٦٢ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ ، نهاية الأرب ٢ : ٢٠٤ .
(٤) الضرائب : السجايا ، المنصب : الاصل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعديّ صدر في مدحه لعبد الملك عن طيب خاطر، ولم يقل أبياته السابقة بدافع الخوف والهيبة ،لأنّ عقاب الخليفة لا يقع إلّا على المذنبين ،وعديّ لم يكن واحداً منهم ، فخاطبه بلهجة صادقة نابعة من موقف سياسي مؤيد له ،وعبّر عمّا يعتمل في صدره من حبّ لبني أمية ، فقدّم أهله فداءً للخليفة الذى أيّده الله بنصره .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ مدائحه في الوليد بن عبد الملك وابنه عمر :

استأثر الوليد بن عبد الملك بأروع مدائح عديّ بن الرقاع، فأضفى عليه أحسن الصفات، وتحدّث عن مقوّمات شخصيّته التي أعدته للفوز بالخلافة وأثنى عليه شاكراً له عطاياه، حامداً نعمه التي نثرها على رعيّته، معظّماً صدقه في معاملته ووفاءه بوعوده، وأبرز صفات الكرم والعزّ والسلطان وحسن الصنيع وحميد الأخلاق، ومجّد نسبه العربي الأصيل، فكان الوليد في نظره أكرم الناس على الإطلاق، عمّ كرمه الرعية كلّها، فلم يمنع أحداً، ولم يبخل على أحد. يقول فيه (١):

لا يَمْنَعُ النّاسَ ما أعطى الّذينَ هُمُ ... لَهُ عِبادٌ ولا يُعْطَوْنَ ما مَنَعا

وساد الوليد قبيلته، فحمل الأعباء عنها بسبب الصفات التي تمتّع بها، وجمع مكارم الأخلاق كلّها، ولم يغادر مكرمة واحدة منها، فهو أهل لهذه السيادة، وهو حقيق بهذا المديح. يقول: (٢)

وإذا نَشَرْتَ لَهُ الثّناءَ وَجَدْتَهُ ... جَمَعَ المكارِمَ طُرْفَها وتِلادَها (٣)

غلبَ السماحَ الوليدُ سماحَةً ... وكفى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وَسادَها

ويقول: (٤)

لِلْحَمْدِ فيهِ مذاهِبٌ لا تَنْتَهي ... ومكارِمٌ يَعْلونَ كلَّ مَكارِمِ

والوليد ملجأ الشاعر وملاذه: (٥)

وَلَقَدْ لَجَأْتُ مِنَ الوَليدِ إلى امْرِئٍ ... حَسْبي ولَيْسَ من اصْطَفاهُ بِنادِمِ

---

(١) الأغاني ١ : ٢٨١، تاريخ دمشق، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤.

(٢) الأغاني ١ : ٢٠٨، لسان العرب: مادة قرش، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٧، الطرائف الأدبية ص ٩٠.

(٣) طرفها: جديدها، تلادها: قديمها.

(٤) السيوطي: شرح شواهد المغني ١ : ٤٩٢، البغدادي: شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧.

(٥) شرح شواهد مغني اللبيب ١ : ٤٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبهه بالغيث الذى يحيي الارض بعد مواتها ،فقال : (١)

نَزَلَ الوَليدُ بِها فكانَ لِاَهْلِها ... غَيْثاً أفاتَ أنيسَها وَبِلادَها

ونجد في مدائح عديّ في الوليد إضافة إلى نمط المديح التقليدي من وصف بالشجاعة والكرم ومحاسن الاخلاق والنخوة وغيرها ،نجد نمطاً جديداً تمثّل في تمجيده للصفات الإسلامية التي تحلّى بها ، فصوّره مجاهداً في سبيل الله ، يتقدّم جيوشه ، ويوقع بأعداء الإسلام الهزائم المتلاحقة ،وأشاد ببسالته وشدة بأسه في حروبه ،وصدق نضاله ، ونكايته بأعدائه ،ومجالدته لهم وانتصاره عليهم ،فهو دائم اليقظة والتشمير لمقارعتهم والإيقاع بهم ،يقول : (٢)

تَأْتيهِ أَسْلابُ الاعِزَّةِ عَنْوَةً ... قَسْراً ويجمع لِلْحُروبِ عِتادَها

وإذا رأى نارَ العَدُوِّ تَضَرَّمَتْ ... سامي جماعةَ أَهْلِها فاقْتادَها

بِعَرَمْرَمٍ تبدو الرَّوابي ذي وَعىً ... كالجَمْرَةِ احْتَمَلَ الضُّحى أَطْوادَها (٣)

أَطْفَأْتَ ناراً للحروبِ وأُوقِدَتْ ... نارٌ قَدَحْتَ بِراحَتَيْكَ زِنادَها

فَبَدَتْ بَصيرَتُها لِمَنْ يَنْفي الهُدى ... وأَصابَ حَزَّ شديدها حُسّادَها

وإذا غَدا يوماً بنفحَةِ نائِلٍ ... عَرضتْ لَهُ الغَدَ مِثْلها فأعادها (٤)

وإذا عَدَتْ خَيْلٌ تُبادِرُ غايَةً ... فالسّابقُ الجالي يقودُ جيادَها

وأشار إلى انتصاره في حروبه مع أعدائه ،وبيّن أن أحداً من الخلفاء السابقين لم يحقّق ما حقّقه من فتوحات وانتصارات في خلافته ،يقول : (٥)

وأَصَبْتَ في بَلَدِ العَدُوِّ مُصيبَةً ... بَلَغَتْ أقاصي غَوْرِها ونِجادَها

---

(١) البصري :الحماسة البصرية ١ : ١٤٠ ،البكري : معجم ما استعجم ٢ : ٥١١ ، الطرائف الأدبية ص ٩٠ .

(٢) تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٩ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٧ ،الطرائف الأدبية ص٩٠ .

(٣) الوعى : الجلبة ،أطواد : جبال عالية .

(٤) نفحة : اعطية .

(٥) الأغاني ١ : ٢٨٢ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٩ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٦٥ ،الطرائف الأدبية ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظَفَراً وَنَصْراً ما تَناوَلَ مِثْلَـــهُ أَحَدٌ مِنَ الخُلَفاءِ كانَ أَرادَها

أما الهدف الذي حدا بالوليد إلى قيادة جيوشه فهو الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق، وتحقيق الخير والمنفعة للمسلمين. وقد وفّق عديّ في رسم صورة زاهية الألوان للوليد بن عبد الملك في أبياته السابقة، وكان صادقاً فيما ذهب إليه، فهو الخليفة الذي فتح في عهده من البلدان ما لم يفتح في عهد غيره من الخلفاء، فوصلت الدولة الإسلامية في أيامه إلى أوج عزّها وقوّتها، وبسطت نفوذها على مساحات واسعة من العالم، إذ فتحت جيوشه بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد بلاد الأندلس غرباً، وفتحت كثيراً من القلاع والحصون والمدن في المشرق، وواصلت معاركها مع الروم في الثغور، وحاصرت القسطنطينية (١).

واعتمد بنو أمية على مبدأ الجبر في دعوتهم السياسية وهو مبدأ يتلخص في أن حكم بني أمية قدر محتوم من الله تعالى، فكل شيء يسير بقضاء الله وقدره، ولا سبيل إلى تغييره، ولا داعي للخروج على خلافتهم، وكان الغرض من إذاعة هذا المبدأ بين الناس هو صرف خصوم بني أمية عن معارضتهم والعمل للتخلص من خلافتهم. فالله تعالى هو الذي شاء أن يكونوا خلفاءه في الأرض، وأوصياءه على العباد، ولا رادّ لمشيئته، ونلاحظ أن معظم شعراء بني أمية تبنّوا هذا المبدأ ونادوا به من أجل إرضائهم، ونيل جوائزهم (٢)، فهذا جرير يقول إن الله اصطفاهم خلفاء للأمة: (٣)

اللّهُ أَعْطاكُمُ مِنْ عِلْمِهِ بِكُمُ حُكْماً وما بَعْدَ حُكْمِ اللّهِ تَعْقِيبُ

وكثير عزة في مديحه لهم يسند خلافتهم إلى الحق الإلهي فيقول في مدح عبد الملك ابن مروان: (٤)

إمامُ هُدىً قَدْ سَدَّدَ اللّهُ رَأْيَهُ وَقَدْ أَحْكَمَتْهُ مُاضِياتُ التَّجارُبِ

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤.
(٢) شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٧٧.
(٣) ديوان جرير ١: ٣٤٨.
(٤) ديوان كثير عزة ص ٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقرر أن عبد الملك استحق الخلافة لانه ملأ الارض عدلاً وخيراً ، يقول : (١)

بَلَوْهُ فَأَعْطَوْهُ المَقادَةَ بَعْدَمـا ... أَدَبَّ البِلادَ سَهْلَها وَجِبالَها

ويقول الاحوص في الوليد بن عبد الملك : (٢)

إمامٌ أتاهُ المُلْكُ عَفْواً ولمْ يُشَبْ ... على مُلْكِهِ مالاً حَراماً ولا دَما

تَخَيَّرَهُ رَبُّ العِبادِ لِخَلْقِـهِ ... وَلِيّاً وكانَ اللّهُ بالنّاسِ أَعْلَمـا

يَنالُ الغِنى والعِزَّ مَنْ نالَ وُدَّهُ ... وَيَرْهَبُ مَوْتاً عاجِلاً مَنْ تَشَأَّما

فالوليد إمام لا يسفك الدماء ولا يُظلم أحد في ملكه ، وقد اختاره الله تعالى ليكون خليفة وأجمعت الامة بمختلف فئاتها على بيعته والاستجابة لإمامته ، والامثلة كثيرة على انتشار مذهب الجبر في شعر شعراء بني أمية ، ولا مجال لاستقصائها في هذه الدراسة .

ونجد هذا المبدأ منتشراً في مدائح عدي للوليد بن عبد الملك ، فالله هو الذي اختاره للخلافة ، ولا تبديل لإرادة الله ، والوليد خليفة يتّصف بالتقوى والورع والصلاح ، وهو لا يسفك الدماء ، ولا يُظلم أحد في ملكه ، ولم يغتصب الخلافة اغتصاباً ، وانّما بويع بها مبايعةً بسبب الصفات الإسلامية التي تحلّى بها ، فاختصّه الله من سائر الناس وفضّله على غيره ، وأجمعت الامة على بيعته والاستجابة لخلافته ، يقول : (٣)

وَلَقَدْ أَرادَ اللّهُ إذْ وَلّاكَهـا ... مِنْ أُمَّةٍ إصْلاحَها وَرَشادَهـا

وَعَمَرْتَ أَرْضَ المُسْلِمينَ فَأَقْبَلَتْ ... ونفيْتَ عَنْها مَنْ يُرِيدُ فَسادَها

أَوَما تَرى أَنَّ البَرِيَّةَ كُلَّهـا ... أَلْقَتْ خَزائِمَها إلَيْهِ فقادَهـا

فالخلافة جاءت الوليد من عند الله ، فأجمع الناس عليه ، ووحّد الله الامة الإسلامية على يديه بعد أن كانت أحزاباً متفرقة متناحرة ، يقاتل بعضها بعضاً ، يقول : (٤)

صَلّى الّذي الصَّلَواتُ الطَّيِباتُ لَهُ ... والمُؤْمِنونَ إذا ما جَمَّعوا الجُمَعـا

---

(١) ديوان كثير عزّة ص ٨١ .

(٢) شعر الأحوص ص ١٩٣ .

(٣) الأغاني ١ : ٢٨٢ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٩ ، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٦ ، الطرائف الأدبية ص ٩٠ .

(٤) الأغاني ١ : ٢٨٢ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨ ، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الّذى سبقَ الاقوامَ ضاحِيَةً ... بالأجْرِ والحَمْدِ حَتّى صاحَباهُ مَعا
هوَ الّذي جَمَعَ الرَّحمنُ أُمَّتَهُ ... على يَدَيْهِ وكانوا قَبْلَهُ شِيَعـــا
إنَّ الوَليدَ أميرُ المُؤمنينَ لَـهُ ... مُلكٌ عَلَيْهِ أعانَ اللّهُ فارْتَفَعـــا

وأما سيرة الوليد في الناس وإدارة شئونهم ،فقد رسمها عدىّ رسماً حسناً ، وبيّن أنها سياسة أب رحيم بأبنائه ، حازم في أحكامه ،مهيب الجانب،عادل لا يحابي قريباً ،ولا يظلم بعيداً ،مجانب للهوى ،منصف في حكمه ،يعاقب الظالم ويردعه عن الظلم ، يقول : (١)

وَمَهابَةُ المَلِكِ العَزيزِ ونائِلٌ ... يُنْضي الجَوادَ وأنْتَ نِكْلُ الظّالِمِ
وإذا نظرتَ بِحُرِّ وجهِكَ كُلَّهُ ... نحوَ امرئٍ فيعودُ كلُّ الغانِمِ
وإذا قضى فَصْلَ القَضاءَ فلمْ تُمِلْ ... قُربى عليهِ ولا ملامَةُ لائِمِ
وإذا وَرِدْتَ فانَّ وِرْدَكَ نافِعٌ ... ومن انْتَحَطْتَ فليْسَ مِنْكَ بسالِمِ

وبلغ حبّ عدىّ للوليد مبلغاً عظيماً ،فطلب من الله أن يميته في أيامه حتى لا يكون تابعاً لخليفة بعده (٢) ، وأراد عدىّ أن يقطع الطريق على الشعراء المعاصرين الذين حاولوا إبعاده عن بلاط الخليفة ،فقدّم مدائحه في الوليد في أروع صورها حتى لا يسمو على مديحه مديح ،واستصفى كل المعاني الحسنة ونعته بها ،وكان بارعاً في هذا المضمار براعة لفتت الانظار إلى تلك المدائح ،فتناقلها الناس،وحملها الرواة ، فذاعت شهرته ، ونصّبه الوليد شاعراً لبني أميّة (٣) .

ونلاحظ أنه استطاع أن يلائم بين العناصر الجاهلية القديمة في المديح من كرم وشجاعة ووفاء وصبر ومروءة وحلم ،وبين العناصر الإسلامية الحديثة المتمثلة في إقامة

---

(١) شرح شواهد مغني اللبيب ١ : ٤٩٢ ،شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .
(٢) خليل مردم بك : شعراء شاميون ص ١٨ .
(٣) الأغاني ٩ : ٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العدل بين الناس، وعصيان داعي الهوى ،والجهاد في سبيل الله ،واتباع أحكام القرآن والسنّة ،ونلاحظ أن مدائحه تحولت إلى دفاع حار عن الخلافة الأموية ،ويتبين لنا أن حظوته في بلاط الوليد لم تكن بسبب مديحه له فقط، بل ساعده على بلوغها موقف القبائل اليمانية السياسي الذى وقفته من الخلافة ،واستماتتها في الدفاع عنها ، وكأن الوليد يرمز بتقديمه لعديّ إلى رضاه عن هذه القبائل .

ومدح عديّ عمر بن الوليد بقصيدة شبّهه فيها بالبدر الذى يبدّد الظلام ، وهي صورة تقليدية سبقه إليها الشعراء ،وذكر أن الخصال الحميدة التي يتمتع بها تحدّرت إليه من أبيه ،يقول : (١)

وإذا نَظَرْتُ إلى أميري زادَني ضَنّاً به نَظَري إلى الأُمَراءِ
تَسْمو العيونُ إليهِ حينَ يَرَوْنَهُ كالبَدْرِ فَرَّجَ بُهْمَةَ الظَّلْماءِ

لقد أثبت عديّ حسن تأتيه ولباقته في مديحه لهذا الأمير(٢) ، فأورد مجموعة من الحكم في قصيدته ،ليثبت أن عمر ورث المجد والعزّ عن والده ،ونلاحظ أنه لم يدخل السياسة في مديحه له ،بل اكتفى بالإشارة إلى جمال ممدوحه وحسن منظره وعراقة أصله ونسبه ،فاختلف مديحه له عن مديحه لأبيه .

---

(١) الشعر والشعراء ص٤١٦ ،وقد وردت أبيات هذه القصيدة ،متفرقة في كل من : البيان والتبيين ص ٣٤٤ ،عيون الأخبار ١ : ٢٣٣ ، وربيع الأبرار ٣ : ٤٨١ ، الحماسة البصرية ص ٦٥٩ ،لسان العرب ،مادة تلل ، فرق ، نهاية الارب ٣ : ٥٧ الصفدى : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٤٠ ،انوار الربيع ٢ : ٩٢ مؤلف مجهول : مجموعة المعاني ص ١٧٠ .

(٢) شعراء شاميون ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - مدائحه في عمر بن عبد العزيـــز :

لم يصل إلينا من شعر عديّ في عمر بن عبد العزيز غير مقطوعة واحدة ، وبضعـــة أبيات متفرقة ، نوّه فيها بالصفات الإسلامية التي اتصف فيها، وأثنى على سيرته الحسنـــة وسياسته الحكيمة ، وأبرز فيها برّه برعيّته ، ومحاسبته للظالم ، وإنصافه للمظلوم ، ومساعدتـه للضعفاء ، وأشاد بتقواه ، فقد اصطفاه الله تعالى لينشر العدل بين الناس، وهـــو حليم حاز كل المكارم التي يحمد المرء عليها ، يقول : (١)

جَمَعْتَ اللّواتي يَحْمَدُ اللّهَ عَبْدُهُ ... عَلَيْهِنَّ فَلْيَهْنَأْكَ الخيرُ واسْلَمِ
فَأَوَّلُهُنَّ البِرُّ والبِرُّ غالِـــبٌ ... وما بِكَ مِنْ غَيْبِ السَّرائِرِ يُعْلَـــمِ
وثانِيَةٌ كانَتْ مِنَ اللّهِ نِعْمَـــةً ... على المُسْلِمينَ إذْ وَلِيْ خَيْرُ مُنْعِـــمِ
وثالِثَةٌ أنْ لَيْسَ فيكَ هَـــوادَةٌ ... لِمَنْ رامَ ظُلْماً أوْ سَعى سَعْيَ مُجْرِمِ
ورابِعَةٌ أنْ لا تَزالَ مَعَ التُّقـــى ... تُحِبُّ بَمَيْمونٍ مِنَ الأَمْرِ مُبْـــرَمِ
وخامِسَةٌ في الحُكْمِ أنَّكَ تُنْصِفُ الضَّعيفَ ، وما مَنْ عَلَّمَ اللّـــهُ كالعَمـــي
وسادِسَةٌ أنَّ الّذي هُوَ رَبُّنا اصْطَفاكَ فَمَنْ يَتْبَعْـــكَ لا يَتَنَـــــدَّمِ
وسابِعَةٌ أنَّ المَكارِمَ كُلَّهـــا ... سَبَقْتَ إلَيْها كُلَّ ساعٍ وَمُلْجِـــمِ
وثامِنَةٌ في مَنْصِبِ النّاسِ أنَّـــهُ ... سَما بِكَ مِنْهُمْ مُعْظَمٌ فَوْقَ مُعْظَـــمِ
وتاسِعَةٌ أنَّ البَرِيَّـــةَ كُلَّهـــا ... يُعَدّونَ سَيْباً مِنْ إمامٍ مُتَمِّـــمِ
وعاشِرَةٌ أنَّ الحُلومَ تَوابِـــعٌ ... لِحِلْمِكَ في فَصْلٍ مِنَ القَوْلِ مُحْكَـــمِ

فقد عدّد عديّ الخصال التي تمتّع عمر بن عبد العزيز بها تعداداً ، وبيّن اتباعه للحق ، وتطبيقه لقواعد الإسلام ، فقد اتبع منهج جدّه عمر بن الخطاب ، وسار في النـــاس سيرة حسنة ، فعمّ العدل الرعية ، وشمل الرخاء أرجاء الدولة الإسلامية ، والاختلاف واضـــح بين أسلوب المقطوعة السابقة وأسلوب مدحه للوليد بن عبد الملك ، فأكثر المعاني الـــتي ضمنها هذه المقطوعة معان إسلامية ، وهي تصوّر شخصية عمر وسياسته العادلة ، ومـــا ينبغي أن يتّصف به الخليفة الكامل الفاضل عند المسلمـــين .

---

(١) لسان العرب : مادة عملس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن عمر بن عبد العزيز يسمح للشعراء بقول غير الحقّ في مجلسه ،فإذا دخل عليه أحدهم كان يقول له : قل ولا تقل إلّا حقّا ، فإنّ الله سائلك يوم القيامة عمّا قلت.

ولعديّ مقطوعة أخرى في عمر ، فخّم فيها كرمه وعدله ،وسعة حلمه ،يقول :(١)

فإنْ يكُ في مناسِمِها رَجاءٌ ... فَقَدْ لَقِيَتْ مَناسِمُها العِدالا
أتَتْ عُمَرا فلاقَتْ مِنْ نَداهُ ... سِجالَ الخَيْرِ إنّ لَهُ سِجالا
أبَتْ لَكُمُ مَواطِنُ طَيِّباتٌ ... وأحْلامٌ لَكُمْ تَزِنُ الجِبالا

وعظّم في ثالثة نسبه في قريش (٢) .

ويظهر لنا من استعراضنا لمدائح عديّ في بني أمية أنه ثبت على حبّه وولائه وإخلاصه لهم ، فكان أمويّا مسرفًا في أمويّته ،وفيّاً لهم ،بل كان من شعرائهم المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم ،فجاء تبجيله لخلفائهم ،وإعجابه بسياستهم لرعيتهم وتمجيده لمواقفهم الصارمة من أعدائهم وانتصاره لهم ، ودفاعه عن حقّهم في الخلافة ، مطابقاً لرأيه فيهم ،وتأييده لهم ،فهو يعتقد أنهم جديرون بالخلافة ،وأن أحداً غيرهم لا يصلح لها ،وهو يزعم أن الله اختارهم لولاية المسلمين ،وأن الناس انقادوا لهم راضين بهم ،لأنهم ساسوا الأمّة أحسن سياسة ،وقادوها أحسن قيادة ،فعمّ الخير الناس ،وانتشر الرخاء والأمن في ربوع الدولة الإسلامية ،إنهم سادة أقوياء يثبتون في أرض المعركة حين يشتد القتال ،وهم ساسة أذكياء يحرصون على وحدة الأمة الإسلامية ، فهم أحقّ من غيرهم بالخلافة .

---

(١) الآمدي : الموازنة ١ : ١٠٢ ،الجوهري : الصحاح ،مادة عدل ، لسان العرب مادة عدل .
(٢) ربيع الأبرار ٣ : ٢٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - مديحه لرجالات عصره :

مدح عدي عمر بن هبيرة الفزاري أحد رجالات عصره المشهورين بمقطوعة نوّه فيها بشجاعته وصلابته ،وأشاد بكرمه ونبل أخلاقه ،وتغنّى بنسبه العربي الأصيل ، وبيّن أن شهرته طبقت الآفاق ،وأنه ابتعد عن الفواحش ،فلم يقترف شيئاً منها ،يقول : (١)

إذا شِئْتَ أنْ تَلْقى فتى البَأْسِ والنَّدى ... وذا الحَسَبِ الزّاكي التّليدِ المُقَدَّمِ
فَكُنْ عُمَراً تَأْتي ولا تَعْدُوَنَّهُ ... إلى غَيْرِهِ واسْتَخْبِرِ النّاسَ واعْلَمِ
فتىً عُزِلَتْ عَنْهُ الفواحِشُ كُلُّها ... فَلَمْ تَخْتَلِطْ مِنْهُ بِلَحْمٍ ولا دَمِ

وهو يحذو حذو الشعراء القدماء في مقطوعته السابقة ،ويستعين ببعض الصور التقليدية الجاهلية لتصوير شخصية الممدوح ،إذ وصفه بالبأس والكرم وعدم اقتراف المعاصي .

ومدح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة بمقطوعة نقلها إلينا ابن قتيبة ،إذ ذكر أن سعيد بن عمرو الحرشي كان مؤاخيًا ليزيد بن المهلب ، فلمّا حبس عمر بن عبد العزيز ابن المهلب ومنع الدخول عليه ،أتاه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمسون ألف درهم ،وقد حلت بيني وبينه ، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؟ فأذن له ، فدخل عليه ،فسرّ به يزيد وقال : كيف وصلت إليّ ؟ فأخبره ،فقال يزيد : والله لا تخرج إلاّ وهي معك ،فامتنع سعيد ،فحلف يزيد ليقبضنّها ،فقال عديّ بن الرقاع: (٢)

وَلَمْ أرَ مَحْبوساً مِنَ النّاسِ واحِداً ... حَبا زائِراً في السِّجْنِ غَيْرَ يَزيدِ
سَعيدُ بنُ عَمْرٍو إذْ أتاهُ أجازَهُ ... بِخمسينَ ألفٍ عُجِّلَتْ لِسَعيدِ

فمجّد عديّ كرم يزيد الذي لا يضاهى ،ونوّه بعطائه الذى يعدّ سابقة في الكرم لم تؤثر عن أحد غيره .

---

(١) شعراء شاميون ص ٧٢ ،ونسبت بعض أبيات هذه المقطوعة إلى ملحمة الجرمي في ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٤ .
(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : الغـــزل

تغزّل عدي بالمرأة ،وأظهر أحاسيسه نحوها ،فوصفها وصفاً جميلاً ، وتغـــنّى بحسنها متأملاً مفاتنها ،شاكياً لوعة الحبّ ،وحرقة الشوق للقائها ، وتحدّث عن ألـــم الفراق والبعاد وما تركه في نفسه من قروح وجروح ،وتعدّدت أسماء النسوة اللواتي تغـزّل بهنّ ، فذكر حسينة وأم القاسم وسُعدى وصفراء وأخت بني لؤى وسعاد وسلّومة ،ونرجح أن تعدّد أسماء النسوة في شعره ليس غير رموز افتتح بها أبياته الغزلية ،ونلاحظ أنـــه لم يفرد للغزل قصائد كاملة ،وإنما جاء حديثه عن المرأة في سياق قصائده ، فأخـــذ نفسه بالحديث عنها يصف جمالها ،ويوضح علاقته بها ،يقـول : (١)

وَلُرُبَّ واضِحَةِ الجَبينِ فَريـــدَةٍ ... بَيْضاءَ قَدْ ضَرَبَتْ بِها أَوْتادَهـــا
تَصْطادُ بَهْجَتُها المُغَلَّلَ بالصِّبا ... عَرَضاً فَتُقْصِدُهُ ولَنْ يَصْطادَهـــا

فهي امرأة بيضاء ،فريدة في حسنها ،لها تأثير في العاشق ،لكنها لا تمكنه من استمالتها واجتذاب قلبها ،وشبّهها بالظبيـة : (٢)

كالظَّبْيَةِ البِكْرِ الفَريدَةِ تَرْتَعـــي ... مِنْ أَرْضِها قَفّاتَها وَعِهادَهـــا (٣)
خَضَبَتْ بِها عَقَدُ البِراقِ جَبينَها ... مِنْ عَرْكِها عَلَجانَها وَعِرادَهـــا (٤)
كالزَّيْنِ في وجهِ العَروسِ تَبَذَّلَتْ ... بعدَ الحَياءِ فلا عَدَتْ أَرآدَهـــا

وتحدث عن ابتعاد سعاد عنه وهجرها له ،فقال : (٥)

بانَتْ سُعادُ وأَخْلَفَتْ ميعادَها ... وتباعَدَتْ عَنّا لِتَمْنَعَ زادَهـــا
إنّي إذا ما لَمْ تَصِلْني خُلَّـــتي ... وتباعَدَتْ عَنّي اغْتَفَرْتُ بِعادَهـا (٦)

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٨٧ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٨٧ .
(٣) القفات : جمع قفة وهي الشجرة المستديرة أو العشب اليابس، العهاد : جمـــع عهدة ،وهي الأمطار المتوالية .
(٤) العقد : ما ثبت أصله من الشجر ،العلجان : نوع من الشجر الأخضر ،العراد : حشيش طيّب الريح وقيل شجرة صلبة العـــود .
(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٨ .
(٦) اغتفرت : احتملـــت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا القَرينةُ لَمْ تَزلْ في نَجْدَةٍ ... منْ ضِغْنِها سَئِمَ القَرينُ قِيادَها
إمّا تَرَيْ شَيْبي تَفَشَّغَ لِمَّتي ... حَتى عَلا وَضَحٌ يَلوحُ سَوادَها (١)
فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفَتاةِ وسادَةً ... لي جاعِلاً يُسْرى يَدَيَّ وِسادَها

وواضح أن عديّاً متأثر بمطلع بردة كعب بن زهير : (٢)

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَها لَمْ يُجْزَ مَكْبولُ

فكعب يرمز بسعاد إلى أيام الجاهلية ،ويتحسّر على انقضائها بسبب بزوغ فجر الإسلام ، وأرجح أن عدياً يرمز بسعاد إلى عهد الشباب الذى زال ،ولا أمل في رجوعه . فحين انتشر الشيب في رأسه ،فارقه عهد الشباب ،وابتعدت المرأة عنه ،فهي لا تقبل على الشيوخ ، ولكنه يتذكر ماضيه الزاخر بالحبّ مع فتاته ،فيتحدّث عن علاقاته السابقة بها ، ليدلل على أن هذا الشيب طارئ .

وتحدّث في قصيدة ثانية عن أخت بني لؤى التي أسرت فؤاده وسلبت عقله ، فعندما علق بشباكها ،ووقع في حبّها وبذل لها كل المودة ،آثرت غيره ،ولم تبادله حبّا بحب ، يقول : (٣)

صادَتْكَ أُخْتُ بَني لُؤيٍ إِذْ رَمَتْ ... وأَصابَ سَهْمُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِواها
وأَعارَها الحَدَثانُ مِنْكَ مَوَدَّةً ... وأَعارَ غَيْرُكَ وُدَّها وَهَواها
تِلْكَ الظَّلامَةُ قَدْ عَلِمْتَ فَلَيْتَها ... إِذْ كُنْتَ مُكْتَهِلاً تُلِمُّ نَواها

وورد هذه الصورة عند الأعشى الذى يقول : (٤)

عُلِّقْتُها عَرَضاً ،وَعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيري وَعُلِّقَ أُخْرى غَيْرَها الرَّجُلُ

وتحدّث عديّ عن صفاتها التي لا تفارق مخيّلته ،فهي بيضاء تستلب عقول الرجال لفرط حسنها ،أردافها عظيمة ،وخصرها دقيق ،تفوح من فمها ريح المسك ، يقول : (٥)

---

(١) تفشغ : كثر وانتشر .
(٢) السكري : شرح ديوان كعب ص ٦ .
(٣) الطرائف الأدبية ص ٩٢ ،معجم البلدان ،مادة مويقع .
(٤) ديوان الأعشى ص ١٠٧ .
(٥) الطرائف الأدبية ص ٩٢ ،لسان العرب ،مادة سوك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَيْضاءُ تَسْتَلِبُ الرِّجالَ عُقولَهُمْ ... عَظُمَتْ رَوادِفُها وَدَقَّ حَشاها
وكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبيلِ وَلَذَّةً ... صَهْباءُ ساكَ بِها السُّحِرُ فاها

فهذه الصفات هي أحسن صفات الجمال الحسيّة والمعنوية في المرأة ،وقد تغنّى بها شعراء الجاهلية كثيراً في شعرهم . ومن الصفات التي أعجب بها عديّ في المرأة ،لمعان أسنانها وحلاوة ريقها ،يقول : (١)

بَرّاقَةُ الثَّغْرِ تَشْفي القَلْبَ لَذَّتُها ... إذا مُقَبِّلُها في ريقِها كَرَعا

وشبّهها بالغزال في لطافتها ورقّتها ، عيناها حوراوان ، خلقت في أحسن صورة ،حديثها عذب جميل ،ولا تشوبها شائبة ، يقول : (٢)

وفي الخُدورِ سِهاً حورٌ مُصَوَّرَةٌ ... خُلِقْنَ أَحْسَنَ مِمّا قالَ مَنْ يَصِفُ
إذا كَرَرْنَ حديثاً قُلْنَ أَحْسَنَهُ ... وَهُنَّ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ يَتَّقي صُدُفُ

وصوّر علاقته الصريحة بالمرأة ،فأشار إلى حياة النعيم التي كان يعيشها مع صاحبته ،وشبّه نفسه بشارب الخمر لا يكفّ عن شربها سهما يتناول منها : (٣)

أَلْهو بواضِحَةِ الخَدَّيْنِ طَيِّبَةٍ ... بَعْدَ المَنامِ إذا ماسِرُّها ابْتُذِلا
لَيْسَتْ تَزالُ إليها نفسُ صاحِبِها ... ظَمْأى فَلَوْ رَأَيْتَ مِنْ قَلْبِهِ الغَلَلا (٤)
كشارِبِ الخَمْرِ لا تُشْفى لَذاذَتُهُ ... ولو يطالِعُ حَتّى يُكْثِرَ المِلَلا

فهذا الغزل غزل صريح ،والعلاقة التي أشار عديّ إليها لا تكون إلّا بين الرجل وزوجه ، ولعلّ المغزى الذي رمى إليه هو نظرته إلى هذه الحياة ،فقد تجلّت فلسفته التي اكتسبها على مرّ السنين في هذه الأبيات ،وفي غيرها من الأبيات المشابهة ،فأيام الشباب انحسرت

---

(١) ابن سيده : المحكم ١ : ١٧٣ ،لسان العرب ،مادة كرع.
(٢) الخالديان : المختار من شعر بشار ص ٣٨ .
(٣) الطرائف الأدبية ص ٨١ .
(٤) حين قال " فلو رأيت) لا يصح المعنى ولا يستقيم الوزن ، وأرجح أن تكون (فلو نقعت) حيث يصح المعنى ويستقيم الوزن . الطرائف الأدبية ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وولّت، وانقضت معها اللّذة والصبوة ، وحلّت مكانها أيام الشيخوخة التي تنذر بالذبول واقتراب الأجل المحتوم ،فالشيخوخة ألغت المفاهيم التي كان عدىّ يحملها وأحلت مكانها مفاهيم مغايرة ، فبدأ يعيش حياة أخرى تختلف اختلافاً واضحاً عن حياته السابقة، وزماناً آخر يختلف عن الزمن الماضي ،وألّح عديّ على هذه الفلسفة في شعره عندما كان يتحدث عن المرأة والشباب والشيب .

ووصف ألم الفراق والبعاد والهجران،وبكى بكاءً حاراً على صاحبته التي أسرت فؤاده ،واستولت على مشاعره ،يقول (١) :

وَكَأَنَّ سُعْدى إِذْ تُوَدِّعُنا ... وَقد اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكِفا
رَشأٌ تَواصَيْنَ القِيانُ بِهِ ... حتّى عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفا
خَبَّرْ فُؤادَكَ أَوْ سَتُخْبِرُهُ ... قَسَماً لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ حَلَفا
الحبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ راكِبُهُ ... فإذا صَرَفْتَ عِنانَهُ انْصَرَفا

فلحظة الوداع لحظة حرجة ، تنبئ بانقضاء عهد وحلول عهد جديد .

أما هديل الحمام فإنه يبعث في نفسه الذكرى والشوق والحنين ،فتنهمر دموعه حسرةً وألماً عندما يسمعه ،لأنّه يتذكر صاحبته سعدى ،يقول : (٢)

وممّا شَجاني أنّني كنتُ نائِماً ... أُغَلَّلُ مِنْ بَرْدِ الكَرى بالتّنسُّمِ
إلى أنْ بَكَتْ وَرْقاءُ في غُصْنِ أَيْكَةٍ ... تُرَدِّدُ مُبْكاها بِحُسْنِ التَّرَنُّمِ
فَلَوْ قَبْلَ مُبْكاها بَكَيْتُ صَبابَةً ... بِسُعْدى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهيّجَ لي البُكا ... بُكاها فقلتُ الفضلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

فهذه صورة رائعة من صور الذكرى والشوق ،رسمها عديّ عندما سمع بكاء الحمام .

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة والأدب ٢ : ٩٢ ، المرصفي : رغبة الآمل ٧ : ٥٠ .
(٢) الكامل في اللغة والأدب ٢ : ٨٦ ،ابو بكر الأصفهاني :الزهرة ١ : ٣٣٣ (مع اختلاف في الرواية) ، الشريشي : شرح مقامات الحريري ١ : ٣٣ ،رغبة الآمل ٧ : ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المعروف أن المسلمين اهتموا بثغورهم على حدود بلاد الروم ،وكانوا ينطلقون منها لتوسيع الفتوح الإسلامية ، ولدفع الأذى عن المدن والثغور في بلاد الشام وكانت تلك الثغور تعرف باسم الثغور الشامية (١) ، وهي تمتد من نهر اللامس في سهل سلوقية إلى طرطوس إلى أذنة على نهر سيحان إلى المصيصة على نهر جيحان إلى عين زربة . (٢)

وقد جرت العادة عند خلفاء بني أمية بالقيام بحملتين على بلاد الروم في كل عام ،حملة كبرى في الصيف تسمى (الصائفة) ،وحملة ثانية في الشتاء تسمى (الشاتية) ، ونشطت تلك الحملات في عهد الوليد بن عبدالملك الذى عرف عنه اشتغاله بالجهاد وحماية الثغور ،وتوج غزواته في بلاد الروم بفتح الطوانة سنة ثمان وثمانين للهجرة ،وهي من أعظم حصونهم ،وفتحها أصبحت الطريق مفتوحة أمام جيوش المسلمين إلى القسطنطينية (٣) .

ونلمس من شعر عدي أنه كان يرابط في تلك الثغور ،إذ وصف زيارة طيف صاحبته له ليلاً في تلك المناطق على طريقة الشعراء السابقين ،فذكر أنها زارته آخر الليل ، وتحدث عن طبيعة تلك المناطق ،وكثرة الأعداء الذين يحيطون بها ،ويقطعون الطريق إليها ،فلا يكاد يصل إليها شخص إلا بعد مشقة وعناء ،مع تعرضه لكثير من الأهوال، ولكن طيف صاحبته تمكن من الوصول إليه على الرغم من كل تلك المصاعب، ثم عرج على محاسنها فوصفها وصفاً جميلاً ، وشكا من الشيب الذى يزجره عن التصابي ،وسأل صاحبته كيف وصلت إليه واهتدت إلى مكانه على بعد المسافة ومخاطر الطريق . يقول : (٤)

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص ٣٠٧ .
(٢) د . نصرت عبدالرحمن : شعر الصراع مع الروم ص ١٢ .
(٣) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢ : ٧٠ .
(٤) معجم البلدان : مادة حزم خزازى ،دلوك ،جيحان ،ابن الاثير : الترصع ص٢٠٧ ، الأصفهاني : الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ٢ : ٢٠٥ ،الأزهرى : تهذيب اللغة : مادة حزم ،لسان العرب ،مادة حزم ، معجم ما استعجم ،مادة حزم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَهَمٌّ سَرى أَمْ غارَ لِلْغَيْثِ غائِرُ ... أَمِ انْتابَنا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ زائِرُ
وَنَحْنُ بِأَرْضٍ قَلَّما يَجْشَمُ السُّرى ... بِها العَرَبِيّاتُ الحِسانُ الحَرائِرُ
كَثيرٌ بِها الأَعْداءُ يُحْسَرُ دونَها ... بَريدُ الإِمامِ المُسْتَحَثُّ المُثابِرُ
فَبِتُّ أُلَهّي في المَنامِ بِما أَرى ... وَفي الشَّيْبِ عَنْ بَعْضِ البَطالَةِ زاجِرُ
بِساجِيَةِ العَيْنَيْنِ خَوْدٍ تَلَذُّها ... إِذا طَرَقَ اللَّيْلُ الضَّجيعُ المُباشِرُ (١)
كَأَنَّ ثَنايا بِناتُ سَحابَةٍ ... سَقاهُنَّ شُؤْبوبٌ مِنَ اللَّيْلِ باكِرُ (٢)
فَهُنَّ مَعاً أَوْ أُقْحُوانٌ بِرَوْضَةٍ ... تَعاوَرَهُ صَوْبانِ طَلٌّ وَماطِرُ
فَقُلْتُ لَها كَيْفَ اهْتَدَيْتِ وِدونَنا ... دَلوكٌ وَأَشْرافُ الجِبالِ القَواهِرُ (٣)
وَجَيْحانُ جَيْحانُ الجُيوشِ وَآلِسٌ ... وَحَزْنُ خَزازى وَالشَّعوبُ القَواسِرُ (٤)

ونلاحظ أن عدياً حشد أسماء تلك الأماكن التي تفصل بينه وبين ديار صاحبته ، ليدل على صعوبة الطريق التي سلكها طيفها من أجل الوصول إليه .

ومن استعراضنا لغزل عدي نجد أنه استفاد من غزل الشعراء الجاهليين ، فعني بالجانب الحسي من صاحبته ووصف جسدها وخصرها وثغرها ، وتحدث عن لمعان أسنانها وحلاوة ريقها وبياض بشرتها ، واحورار عينيها ، وشبهها بالظبية في جمالها ورشاقتها ، إلى غير ذلك من عناصر الغزل المعروفة ، ولسنا نشك في أن غزله بغير واحدة لا يعني أنه كان من طبقة شعراء الغزل الصريح الذين تنقلوا من امرأة إلى أخرى طلباً للعبث واللهو

---

(١) ساجية العينين : فاترة الطرف ، خود : الفتاة الحسنة الناعمة .
(٢) ثناياها : أسنانها التي في مقدمة فمها .
(٣) دلوك : بلدة في نواحي حلب ، كانت بها وقعة لأبي فراس الحمداني مع الروم .
(٤) جيحان : نهر بالعصيصة بالثغر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب ببلدة كفربيا في خليج الإسكندرونة ، يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن : هو نهر بيراموس عند الروم ويبلغ طوله (٣٢٠) ميلاً (شعر الصراع مع الروم ص ١٢) .
آلس : اسم نهر في بلاد الروم قريب من البحر ، بينه وبين طرطوس مسيرة يوم ، وعليه كان الفداء بين المسلمين والروم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمجون ،لقد فتن بالمرأة ،وعبّر عن حبّه لها ،وإعجابه بها في غزل رقيق وصف فيه مشاعره وعواطفه نحوها دون إسراف ،وأحبّها معجباً بصفاتها ،فرسم صورتها بعيداً عن الفحش ،وتورع عن ذكر ما يخدش الحياة والعفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : الوصـــف

أ - وصف الطبيعة الساكنة :

" ظل الشعراء الامويون يعهدون بين أيدي قصائدهم بالألوان الجاهليـة من المقدمات ،يدفعهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا أمامهم مثلاً فنياً مستوياً إلاّ المثـل الجاهلية . فإن فترة صدر الإسلام كانت قصيرة بحيث لم يتمكن المخضرمون من اختـراع تقاليد فنية فيها فضلاً عن أن ملكاتهم كانت قد تفتحت في الجاهلية ،كما استوت أساليبهم وتماثلت خصائص فنّهم فيها ،وكان العلماء والأدباء والسدوحون يفضّلون النماذج القديمة ويعلون من شأنها ويدعون الشعراء إلى تقليدها ومحاكاتها ،ممّا هيأ لازدهار المقدمات القديمة ،وما حمل الشعراء على المحافظة عليها والتمسّك بها ، و مراعاة طولها وقصرهـا وتقاليدها وصفاتها لأنهم إن حادوا عنها كان الضياع مصيرهم والخمول جزاءهـم "(١) .

وعديّ بن الرقاع واحد من هؤلاء الشعراء الذين شاعت المقدمات التقليدية في صـدور قصائدهم ، وقد تمسّك بها وحرص عليها ،ووقف على ديار محبوبته الدارسة المهجـورة يسترجع ذكرياته فيها ، فبكى بكاء شديداً لما أصابها ، ووصف تلك الديار والمنازل ومـا ألمّ بها ،واستعرض طيف صاحبته ، وسكب العبرات الغزيرة حسرة على هجرتها ورحيلهـا وخراب ديارها ،وكان منظر تلك الآثار الدارسة والمعالم المطموسة يثير في نفسه الحـزن والأسى ،فتحسّر على شبابه السالف ،وذكرياته الغابرة ، يقـول : (٢)

لِمَن المَنازِلُ أقْفَرَتْ بِغَبـاءِ ... لَوْ شِئْتُ هَيَّجَتِ الفَداةَ بُكائي (٣)

فالغَمْرُ غَمْرُ بني جَذِيمَةَ قَدْ تُرَى ... مَأْهولَةً فَخَلَتْ مِنَ الأحْيـاءِ (٤)

لولا التَّجَلُّدُ والتَّعَزّي أنَّـهُ ... لا قَوْمَ إلاّ عَقْرُهُمْ لِفَنـاءِ

نادَيْتُ أصحابي الّذينَ تَوَجَّهوا ... ودعوتُ أخرسَ لا يُجيبُ نِدائي

---

(١) د . حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي ص ٢٥ .
(٢) معجم البلدان : مادة غمر ، ابن منقذ : المنازل والديار ١ : ٣٨ .
(٣) غباء : موضع بالشـام .
(٤) غمر بني جذيمة : موضع بالشام بينه وبين تيماء منزلان من ناحية الشـام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعد أن كانت تلك الديار عامرة بأصحابها ، تعجّ بالحياة ،أصبحت مقفرة لا أنيس بها ، هجرها الأحباب والأصحاب ،وغادروها إلى جهات أخرى ،والعزاء الوحيد الذى يخفّف من وطأة هذه الحقيقة المرّة المؤلمة ،هو إيمانه بأن كلّ مخلوق لا بدّ أن يـــزول ، وكل منزل سيصير إلى الخراب،فالإنسان لا يخلد في هذه الحياة الفانية. وعدىّ شاعر مسلم يؤمن بالحياة الأخرى ، فعقيدته تعينه على تقبّل هذه الحقيقة ،وتقوّى عزيمتـــه وإيمانه ،فيتجمّل بالصـــبر .

وفي مقدمة أخرى يذكر أنه لم يتمكّن من التعرّف على الديار إلّا بعد جهـــد كبير، وأن الذي هداه إلى معرفتها ،بقايا الرماد والأحجار التي اسودّ لونها لكثـــرة تعرّضها للنار،يقـول : (١)

عَرَفْتُ بِعِفْرى أَوْ بِرَجْلَتِها رَبْعاً ... رَماداً وأَحْجاراً بقينَ بها سُفْعا (٢)
فما رُمْتُها حَتّى غَدا اليومَ نِصْفُهُ ... وحتّى سَرَتْ عَيناىَ كِلْتاهُما دَمْعا

فلم يستطع الوصول إلى تلك الديار إلّا بعد مرور وقت طويل على سيره نحوها ،إذ بلغهـا بعد نصف يوم ، ولم يكد يتبينها حتى ذرفت عيناه الدموع لذلك المنظر المؤلم . ويقول (٣)

أَتَعْرِفُ الدّارَ أَمْ لا تَعْرِفُ الطَّلَلا ... أَجَلْ فَهَيَّجَتِ الأَحْزانَ والوَجَلا

فهو يتساءل عن تلك الديار وأطلالها ،ويتحدث عمّا تثيره من أحزان ومخاوف في نفســه ، وهذه عناصر تقليدية استمدها عدي من الشعر الجاهلـي .

ويتساءل عن المنازل وتغيّرها بعد أن خلت من ساكنيها لعلّه يجد أى خـــبر عن أهلها الذين تركوها وابتعدوا عنها ،فيقـول : (٤)

هَلْ عِنْدَ مَنْزِلَةٍ قَدْ أَقْفَرَتْ خَبَرُ ... مَجْهولَةٍ غَيَّرَتْها بَعْدَكَ الغِيَرُ ؟
بَيْنَ الأَقاعِسِ والسَّكْرانِ قَدْ دَرَسَتْ ... مِنْها المَعارِفُ طُرّاً ما بِها أَنَسُ (٥)

---

(١) معجم البلدان ،مادة عفرى ،مقد ،لسان العرب،مادة عفر،التاج ،مادة عفر.
(٢) عفرى :ماء بناحية فلسطين ،الرجلة :مسايل الماء من الروضة إلى الوادي .
(٣) الطرائف الأدبية ص ١٨ .
(٤) معجم البلدان ،مادة اقاعس .
(٥) اقاعس :اسم موضـــع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يبق من هذه الديار أي أثر، إذ أمّحت معالمها، ودرست آثارها، فغدت قاعاً صفصفاً، وتغيّرت فأصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة مأهولة، وأصبحت مجهولة بعد أن كانت معروفة.

ورسم في داليته صورة لتلك الديار التي أبلاها الدهر، ضمّنها مجموعة من عناصر المقدمة الطللية الجاهلية، إذ قام بزيارتها، ولم يستطع التعرف عليها إلّا بعد جهد كبير، لأنّ معالمها زالت، ولم يبق من آثارها غير بعض الحجارة التي علاها السواد من كثرة ما كان يوقد فيها من نيران، وقد حدّد موقع تلك الديار تحديداً دقيقاً، يقول:(١)

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها ... مِنْ بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أبْلادَها
إلّا رواسِيَ كُلُّهُنَّ قد اصْطَلى ... جَمْراً وأشْعَلَ أهْلُها إيقادَها
بِشُبَيْكَةِ الحَوْرِ التي غَرْبِيُّها ... فَقَنَتْ رُسومُ حِياضِها وُرّادَها
كانَتْ رواحِلَ لِلْقُدُورِ فَعُرِّيَتْ ... مِنْهُنَّ واسْتَلَبَ الزَّمانُ رَمادَها
وتَنَكَّرَتْ كُلَّ التَّنَكُّرِ بَعْدَنا ... والأرْضُ تَعْرِفُ بَعْلَها وجَمادَها

وتتكرر هذه الصورة عنده في قوله: (٢)

أمِنْ على طَلَلٍ عَفا مُتَقادِمِ ... بَيْنَ الرُّكَيْكِ وبَيْنَ غَيْبِ النّاعِمِ
بِمَجَرِّ غِزْلانِ الكِناسِ تَلَفَّعَتْ ... بَعدي بِمُنْكَرِ تُرْبِها المُتَراكِمِ

ويقول: (٣)

تَوَهَّمَ إبْلادَ المنازِلِ عَنْ حِقَبْ ... فَراجَعَ شَوْقاً ثُمَّتَ ارْتَدَّ في نَصَبْ
بِزَهْمانَ لو كانَتْ تَكَلَّمُ أخْبَرَتْ ... بِما لَقِيَتْ بَعْدَ الأنِيسِ مِنَ العَجَبْ

ومنظر الدمن والمنازل البالية يثير في نفسه الشوق إلى صاحبته التي كان يذوب شوقاً للقائها، فصورتها لا تفارق مخيّلته، وهو دائم التذكر لها، وقلبه مشغول أبداً بها،

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٨٧، الأغاني ١ : ٢٨١، معجم البلدان: مادة شبيكة، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤.
(٢) نهاية الأرب ٤ : ٢٤٠، شرح شواهد المغني ١ : ٤٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧.
(٣) معجم البلدان، مادة زهمان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقـــول : (١)

ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ مَغاني دِمْنَـةٍ ... ومنازِلٍ شَغَفَ الفُؤادَ بِلاهـــا
دارٌ لِصَفْراءَ الّتي لا تَنْتَهـــــي ... عَنْ ذِكْرِها أَبَداً ولا تَنْساهـــا

ويتساءل مرّة أخرى عن أصحاب الديار التي لم يبق منها سوى رسومها الدارسة ، ويشبهها بالكتاب المزخرف ، يقـــول : (٢)

لِمَنْ رَسْمُ دارٍ كالكِتابِ المُنَمْنَـــمِ ... بِمُنْعَرَجِ الوادي فُوَيْقَ المُهَـزَّمِ (٣)

وينقل إلينا صورة طريفة لبكاء الديار الخالية ، فقد تركها أهلها وأتت عليهـــا عوادي الزمن ، فذاب عدي حسرة وألماً لما أصابها ، إذ لم يبق منها إلاّ آثاراً باليـــة بعد أن كانت آهلة بالسكان ، عامرة بالحياة ، فغمرتها الاتربة ، وهو يصف تلك الديـــار وما حلّ بها وصفاً دقيقاً ، ويدعو لها بالسقيا لانها عزيزة على قلبه ، ويشبّهها صابتـــه ويناجيها باكيا ، فيقـــول : (٤)

هَلْ أَنْتَ مُنْصَرِفٌ فَتَنْظُرَ ما تَرى ... أَبْقَى الحوادِثُ مِنْ رسومِ المَنْزِلِ
دارٌ بأحدى الرِّجْلَتَيْنِ كأنَّها ... قَدْ عُفِّيَتْ حِجَجاً وَلَمّا تُحْلَـــلِ
وَكأنَّ سُهْكَ المُعْصِراتِ كَسَوْنَها ... تُرْبَ الغَدافِرِ واليَفاعِ بِمُنْخَـــلِ
فَسُقيتِ مِنْ دارٍ وإنْ لَمْ تُسْمِعي ... أَصْواتَنا قَطْرَ الرَّبيعِ المُسْبِـــلِ
وَرُعيتِ مِنْ دارٍ وإنْ لَمْ تَنْطِقـــي ... بِجوابِ حاجَتِنا وإنْ لَمْ تَعْقِلـــي
قدْ كانَ أهلُكِ مَرَّةً لَكِ زينَـــةً ... فاسْتَبْدَلوا بَدَلاً وَلَمْ تَسْتَبْدِلـــي
فابكي إذا بَكَتِ المَنازِلُ أَهْلَها ... سَعْدَورةً وَظَلَمْتِ إنْ لَمْ تَفْعَلـــي
أَهْلاً كِراماً لَنْ يَحُلَّكِ مِثْلُهُـــمْ ... في ذا الزَّمانِ ولا الزَّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٩٢ .
(٢) معجم البلدان ، مادة المهزم .
(٣) المنمنم : المزخرف والمنقش .
(٤) المنازل والديار ١ : ٣٧ ، الحماسة البصرية ١ : ٢٥٥ ، الشمشاطي : الأنـــوار ومحاسن الأشعار ٢ : ٤١ ، ربيع الأبرار ١ : ٣٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعدي يصف ما قاسى من الوجد وما داخل نفسه من الالم والحسرة حين رأى تلك الديار خالية بالية ، وحاول استنطاقها وهو يعلم أنها لن تحير جوابا ، وكانت قبل ذلك مزدانة بسكانها الذين آثروا عليها مكاناً ثانياً ،فتركوها وتوجهوا إليه ،وطلب من الديار أن تبكي على أهلها وتنعاهم ،لانه لن ينزل بها ناس أفضل منهم .

ونلمس من مقدماته الطللية إحساسه بالزمن ومأساة انقضائه إحساسا قويا عظيم المرارة ،ويتجلى هذا الإحساس في وصفه لتلك الديار والاطلال ،ووصفه لرحيل أصحابها ، وانفصام عرى المحبة والصداقة ،وتبدد الشمل ، وخراب الديار التي كانت آهلة عامرة ، تنبعث الحياة في أرجائها ،ثم أصبحت خالية لا حياة فيها ،لان الزمن بدّلها وعفى عليها .

إن الاطلال تذكّره دائماً بساكنيها ،وتذكره بمحبوبته التي ابتعدت عنه ،وهي تنبئ بالنهاية الحتمية لحياة الإنسان وانقضاء عمره وزواله ،فيزداد أرقه ،وتنساب الدموع من عينيه أسفاً على ذلك ،وارتبطت الاطلال عنده في أغلب الاحيان بالمرأة ،وهذا الأمر نجده عند الشعراء الجاهليين إذ كانوا يتذكرون محبوباتهم عندما يقفون على الأطلال ، وجاء حديث عدي عن المرأة وارتباطه بالطلل نتيجة علاقة معينة كانت تربطه بها ،فهي تذكره بالحياة والعطاء والشباب الذي تولى عنه ، فأخذ نفسه بالحديث عنها ووصف جمالها وكأنه يصف جمال الأيام الخوالي التي عاشها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - وصف بيئة الشام :

تأثر عدي تأثراً واضحاً ببيئة الشام الفاتنة المليئة من المناظر الطبيعية الجميلة. فقد ولد وترعرع فيها ،واستنشق هواءها ،وشاهد جبالها وسهولها وأنهارها ورياضها وأشجارها وطيرها وحيوانها ومطرها وبرقها ،وتحدث عن مظاهرها بإسهاب، وتردد أسماء مدنها وقراها ومنازلها وبواديها وأنهارها في شعره ، وقلما نجد له مقطوعة أو قصيدة تخلو من ذكر تلك المواضع والبلدان التي رآها وعاش في رحابها وأحس بجمالها ،ففي حديثه عن الأطلال مثلاً لم يتحدث عن منازل الجزيرة العربية كما فعل شعراء الجاهلية ،بل تحدث عن منازل الشام التي مر بها وشاهدها ،فاصطبغت أطلاله بصبغة شامية خالصة .

ومن الأسماء التي وردت في شعره أثيدة(١) والأحص(٢) والمرج (٣)وأسيس(٤) والأزارق (٥)والإلاهة(٦) وجاسم (٧)وحديجاء (٨) وخناصرة(٩) وشابك(١٠) والسماوة(١١) ومقد (١٢) وبيت رأس (١٣) وغيرها .

---

(١) أثيدة : اسم موضع في بلاد قضاعة بالشام .
(٢) الأحص: كورة كبيرة ذات قرى ومزارع قرب حلب ،وكانت من ديار تغلب .
(٣) المرج : هو مرج راهط قرب غوطة دمشق ،وهو أكثر المروج وروداً في الشعر .
(٤) أسيس : اسم ماء يقع في شرقي دمشق .
(٥) الأزارق: جمع أزرق وهو ماء مشهور يقع في شرقي الأردن .
(٦) الإلاهة : قارة بالسماوة من ديار كلب ،تقع بين ديار تغلب والشام .
(٧) جاسم : قرية شامية من أعمال الجولان تقع على طريق دمشق طبريا ،ولد بها أبو تمام .
(٨) حديجاء : قرية شامية .
(٩) خناصرة : بلدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية .
(١٠) شابك : موضع في منازل قضاعة بالشام .
(١١) السماوة : بادية بين الكوفة والشام وهي من أرض كلب .
(١٢) مقد : قرية بالشام تنسب إليها الخمر ،ومنها كانت ملوك غسان تصطفي الخمر ، وهي تشرف على الغور .
(١٣) بيت رأس: قرية في الأردن ،سميت بذلك لأنها تقع في رأس جبل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وورد في شعره ذكر بعض الثغور الشامية والمدن والأنهار الرومية مثل دلوك وجيحان وآلس(١) والطوانة(٢) وغيرهـا .

ومن مراجعة هذه الأسماء يتبين لنا مدى تأثره بتلك البيئة التي لا يمكن لشاعر غير شامي أن يلمّ بأسماء مواضعها وثغورها ،ولا يتيسّر له أن يستعملها بكثرة ودقّة في شعره كما استعملها عديّ لانه خبرها ورابط فيهـا .

ونلاحظ أن صور هذه البيئة غير مقصورة على غرض من أغراض شعره ،بل امتزجت بأكثر الأغراض التي طرقها ،إلّا أنها تكثر في وصفه كثرة مفرطة ،واستعان مصنّفو معجمات البلدان ومعجمات اللغة بمقطوعاته وأبياته الشعرية مستدلين بها على تلك المواضع ، فنقل البكري وياقوت الحموي وابن منظور وغيرهم كثيراً من أسماء تلك المواضع ووصفوهـا معتمدين على ما جاء منها في شعر عديّ .

لقد ملكت بيئة الشام وجمالها الاخّاذ نفس عديّ ،فتركت آثاراً في شعره ،واستطاع أن يصوّرها تصويراً بارعاً اعتمد على دقّة الملاحظة وقوة الخيال ، فجميع ما شاهده وانطبع في نفسه من تنقلاته في ربوعها انعكس على شعره ،فقال يذكر البرق والمطر والغيم والريح الشآمية : (٣)

فَقُمْتُ أُخْبِرُهُ بِالغَيْثِ لَمْ يَدْرِهِ ... وَالبَرْقِ إِذْ أَنَا مَحْزونٌ لَهُ أَرِقُ
مُزْنٌ تُسَحُّ فِي رِيحٍ شَآمِيَةٍ ... مُكَلَّلٌ بِعِمَادِ المَاءِ مُنْتَطِقُ

وقال يصف لمعان البرق ويذكر الرعد : (٤)

فَذَرْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ ... وَمِيضاً ،تَرَى مِنْهُ عَلَى بُعْدِهِ لَمْعَا
تَصَعَّدَ فِي ذَاتِ الأَرَانِبِ مَوْهِنَـا ... إِذَا هَزَّ رَعْداً خِلْتَ فِي وَدْقِهِ شَفْعَا

---

(١) مرّ التعريف بهذه المواقع في الحديث عن موضوع الغزل .
(٢) الطوانة : مدينة تقع ببلاد الروم مما يلي طرسوس .
(٣) العسكري : التصحيف والتحريف ص ١١١ ،الازمنة والامكنة ٢ : ٢٤٤ ،البكـري : سمط اللآلي ١ : ٤٤٥ ،ابن الشجري : الحماسة الشجرية ٢ : ٧٨٣ .
(٤) معجم البلدان ،مادة أرانب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعديّ ليس أول شاعر يصف البرق والمطر والغيم والريح ، فقد وصف هذه الظواهر الطبيعية غيره من الشعراء الأمويين والشعراء الجاهليين ،ولكن الفرق بينه وبينهم أنه يصف ظواهر طبيعية مصبوغة بصبغة شامية ،يقول : (١)

يا مَنْ رَأى بَرْقاً أَرِقْتُ لِضوئِهِ ... أَمْسى تَلألأُ في حوارِكِ العُلا

فأصابَ أَيْمَنُهُ المَزاهِرَ كُلَّها ... وَأَقَمَّ أَيْسَرُهُ أُثَيْدَةَ فالحَشا

وذكر أنواء الشام بقوله : (٢)

وإذا الرَّبِيعُ تَتابَعَتْ أَنْواؤُهُ ... فَسَقى خُناصِرَةَ الأَخَصِّ وزادَها

وشبّه عيني صاحبته بعيني جؤذر جاسم في قوله : (٣)

وكأَنَّها بَيْنَ النِّساءِ أَعارَها ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جاسِمِ

وزعم القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني أن ذكر جاسم من حشو الكلام فقال : " وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلّا كغيرها من الظباء ، وقد تختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقلّ أن تختلف لذلك " (٤) .

وعلّق الاستاذ خليل مردم على ذلك بقوله : " وقد فاته أن عدياً شامي ،وجاسم من قرى الشام ، فلجآذرها منزلة في قلبه وحسن في نظره فوق غيرها من الظباء" (٥) .

---

(١) معجم البلدان ،مادة الحثا ،عظام ،غريفة ،المزاهر ،وهي مواضع شامية .

(٢) معجم ما استعجم ٢ : ٥١١ ،معجم البلدان : مادة خناصرة ،الحماسة البصرية ١ : ١٤٠ ، وفيات الأعيان ٦ : ٣١٢ .

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١ : ٨٦ ،سمط اللآلي ١ : ٥٢١ ، الحماسة الشجرية ٢ : ٦٨١ ، معجم البلدان : مادة جاسم ،نهاية الأرب ٤ : ٢٤٠ .

(٤) الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣١ .

(٥) شعراء شاميون ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - وصـــف الظعـــــن :

وصف الشعراء الجاهليون الظعن بعد فراغهم من الوقوف على الأطلال (١) . ورسموا مشاهد مفصلة لرحلتها ، فوصفوا استعداد القوم للرحيل ،وأسبابه ، ووصفـــوا الهوادج ،والطريق التي تسلكها القافلة ،وحداتهـــا (٢) .

وتحدث عديّ بن الرقاع عن ارتحال ظعن صاحبته عن ديارها ، وبيّن شوقـــه إليها، وما تركه رحيلها في نفسه من حسرة وألم وحنين ،ووصف مسيرها ورحلتها الطويلة ، من ذلك قولـــه : (٣)

يا شَوْقُ ما بِكَ يَوْمَ بانَ حُدوجُهُمْ ... من ذي المُوَيْقِعِ غُدْوَةً فَرآهـــا
وكأنَّ نَخْلا في مُطَيْطَةَ ثاوِيـــــا ... بالكِمْعِ بَيْنَ قَرارِها وحَجاهـــا (٤)
وعلى الجِمال إذا وَنَيْنَ لِسائِـــقٍ ... أنْزَلْتَ آخَرَ رائِحا فحداهـــا
مِنْ بَيْنِ مُخْتَضِعٍ وآخَرَ مَشْيُـــهُ ... رَفَلٌ إذا رُفِعَتْ عَلَيْهِ عَصاهـــا (٥)
من بين بِكرٍ كالسَّماةِ وكاعِـــبٍ ... شَفَعَ النَّعيمُ شَبابَها فَعَراهـــا (٦)
لا مُكْثِرٌ عيشٍ ولا ابنُ وَليـــدَةٍ ... بادي المَروءَةِ يستبيحُ حِماهـــا (٧)

لقد هاجه الشوق حين رأى الظعن ترتحل ،وتألم لهذا المنظر المحزن ، فشبّـه الظعن بنخل سطيطة الذى لا يبدو مستوياً ،فهي في مسيرها تعلو وتهبط ،فتبـــدو متعرجة لأنها سلكت طريقاً وعراً ،أما الجمال التي تحمل الظعن فقد أضناها المســـير ،

---

(١) د . نصرت عبد الرحمن :الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ١٣١ .
(٢) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى ص ٧٦ .
(٣) الطرائف الأدبية ص ٩٢ .
(٤) مطيطة :اسم موضع ،الكمع: المطمئن من الأرض،حجاها :حرفها أو المشرف منها .
(٥) المختضع: الذى يسير مطأطئ الرأس، الرفل : الركض الخفيـف .
(٦) شفع : أتى ،فعراها : أصابهـا .
(٧) عيش : هكذا وردت ،وعيشاً أصح اعراباً (الطرائف الأدبية ص ٩٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخذت ترفع رؤوسها وتخفضها من شدّة التعب، واستعان عديّ بحادٍ يحدوها ليشجّعها على مواصلة الرحلة. ويستأنف حديثه عن تلك الظعن فيقول: (١)

وَجَعَلْنَ مَحْمَلَ ذي السِّلاحِ تَحِيَّـةً ... عَنْ ذي اليَتيمَةِ وافْتَرَشْنَ لِواهـا (٢)
أَصْعَدْنَ في وادي أُثَيْدَةَ بَعْدَمـا ... عَسَفَ الخَمِيلَةَ واحْزَأَلَّ صُواهـا (٣)
قَرْيَةَ حَبَكَ المَقيظُ وأَهْلُهـا ... بِحَشى مآبَ تَرى قُصورَ قُراهـا
واحْتَلَّ أَهْلُكَ ذا القُتودَ وغُرَّبـاً ... فالصَّحْصَحانِ فَأَيْنَ مِنْكَ نَواهـا (٤)
فإذا تَحَيَّرَ في الفُؤادِ خَيالُهـا ... شَرِقَ الشُّؤونَ بِعَبْرَةٍ فَبُكاهـا

فمدّد الأماكن التي اجتازتها، وتتبعها وهي تنتقل من مكان إلى آخر، وسمّى المواضع التي مرّت بها أو استراحت فيها، فازدحمت الأسماء في لوحته هذه، فذكر ذا اليتيمة ووادي أثيدة، وحشى مآب، وذا القتود، وغربا، والصحصحان، وهي أسماء مواضع منتشرة في بلاد الشام.

وما يلبث عديّ أن يتذكّر صاحبة الظعن ورحلتها التي ستجعلها بعيدة المنال فتذوب نفسه ألما وحسرة، ويبكيها بكاءً مرّاً، وتشرق عيناه بالدموع، لقد ترك رحيلها في قلبه جرحاً عميقاً، ولم يجد ما يسري عنه هذا الالم غير ناقته، فهي ملاذه الوحيد في أوقات الشدّة، فشدّ كورها ورحلها ليتسلّى عن الهموم.

لقد ودّع عديّ عهد الشباب، فاتّخذ من رحلة الظعن رمزاً ووسيلة ليعبّر عمّا يختلج في صدره من مخاوف وأحزان، إنّه يبكي شبابه الذي ولّى وانقضى، فولّت معه أيامه الحلوة التي كان يعيشها في صباه، وهو الآن ينتظر نهايته الحتميّة بعد أن

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٩٢.
(٢) ذى التيمية: اسم موضع.
(٣) أصعدن: ارتقين، وادى أثيدة: واد يقع في بلاد قضاعة بالشام، عسف الخميلة: قطع الأرض السهلة، احزأل صواها: ما ارتفع وغلظ في الارض.
(٤) القتود: جمع قتد، اسم جبل، غرّب والصحصحان: موضعان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غزا الشّيب رأسه ،وما حياة الإنسان في هذه الدنيا الّا كرحلة الظعن ،فهو يبدأ طفلاً وينتهي كهلاً ، ويمرّ بين هاتين المرحلتين بمراحل وتجارب كثيرة ، كذلك هذه الظعن ،تبدأ رحلتها من تلك الديار ، ولا بدّ لها أن تنتهي إلى ديار أخرى وتمرّ أثناء رحلتها بمواضع كثيرة ، وتواجه مخاطر متعددة ، فهي تشاكل حياة الإنسان .

ونلاحظ أن عديّا حافظ في وصفه لرحلة الظعن على العناصر الرئيسية التي أرساها الجاهليون ،فخاطب نفسه ،وشبّه الظعن بالنخل ،وتحدّث عن الحادي ، وعدّد الأماكن التي مرّت بها تلك الظعن ،وأخيراً بكى لفراق صاحبته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - وصف حيوان الصحراء :

١ . وصف الناقة :

الناقة من أبرز الحيوانات التي عني بها الشعراء العرب ، فهي مصدر الخير والرزق ،وهي رفيقة السفر الصبور على تحمّل المصاعب، منها يأكلون ،وعليها يرتحلون ، تقطع الصحارى دون ملل أو كلال ، فوقفوا يتأملونها ،ويصفون قوّتها وصبرها ،ويتحدّثون عن أعضائها وهم يحسّون إحساساً عجيباً بالرغبة في تصويرها وإثبات خصائصها (١) . واهتمّ شعراء الجاهلية اهتماماً خاصاً بها ، فوصفوها وصفاً دقيقاً ،وأصبح وصفها عندهم من العناصر المهمّة في قصائدهم ،يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن القصيدة العربية : " نراها تبتدئ عادة بوصف الأطلال وبكاء الدمن ،ثم تنتقل إلى وصف رحلات الشاعر في الصحراء ،وحينئذ يصف ناقته التي تملأ حسّه ونفسه وصفاً دقيقاً فيه حذق ومهارة " (٢) .

وقد أحصى الدكتور نصرت عبد الرحمن عناصر وصف الناقة التي وردت عند الشعراء الجاهليين ،نذكر منها : التوقّف الطويل عندها بوصف ضخامتها وإقدامها وسرعة حركتها وحدّة طبعها وسنّها (٣) ، وتشبيهها بالثور الوحشي وبالحمار الوحشي ، ووصف وحشة الطريق ومخاطرها وأهوالها ،وتصوير سيرها في الليل والنوم في الصحراء (٤). وهي عناصر تتردّد عند كثير من شعراء الجاهلية .

والتفت عديّ إلى الناقة ،فوصفها وصفاً دقيقاً في مختلف أحوالها وطباعها ،ورسم لها صورة خارجية واضحة المعالم ،وصور رحلتها في الصحراء ، وشبّهها بالحمار الوحشي

---

(١) د . نوري القيسي : الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ٩٧ ،د . يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٥٠ .
(٢) د . شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،الطبعة السابعة ص ٨١ .
(٣) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨١ .
(٤) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تارة ،وبالقطاة تارة أخرى ،ليدلل على قوتها وصلابتها وشدّة سرعتها ،وهو يستذكر ناقته عندما تشتدّ عليه الهموم ،ليسري عن نفسه بالارتحال عليها ،ونلاحظ أنه حافظ على العناصر الجاهلية في وصف الناقة محافظة شديدة ، فقال بعد أن وقف على الأطلال وذكر صاحبته وعزوفها عنه بسبب ظهور الشيب في رأسه (١) :

فَصَرَّمَ الهَمَّ إِذْ وَلّى بناجِيَةٍ ... عَيْرانَةٍ لا تَشَكّى الأَصْرَ والعَمَلا (٢)
مِنَ اللّواتي إذا اسْتَقْبَلْنَ مَهْمَهَةً ... نَجَيْنَ مِنْ هَوْلِها الرُّكْبانَ والقَفَلا (٣)
مَنْ فَرّها يَرَها مِنْ جانِبٍ سَدَساً ... وجانِبٍ نابُها لَمْ يَعْدُ أَنْ بَزَلا (٤)
حَرْفٌ تَشَذَّرُ عَنْ رَيّانَ مُنْغَمِسٍ ... مُسْتَحْقِبٍ رَزَأَتْهُ رِحْمُها الجَمَلا (٥)
أوكَتْ عليهِ مَضيقاً مِنْ عَواهِنِها ... كما تَضَمَّنَ كَشْحُ الحُرَّةِ الحَبَلا (٦)

وهو يستحضر ناقته ليتخلّص من همومه المتمثلة في خوفه من المستقبل بعد أن غزا الشيب رأسه وشعر بدنو أجله ، وناقته سريعة نشيطة لا يتمرّض صاحبها للأخطار ،إنها في الثامنة من عمرها ،ترفع ذنبها أثناء سيرها دلالة على أنها حامل .

وكان الشعراء الجاهليون يسلون همومهم بالناقة التي تذهب عن نفوسهم بواعث الألم والضيق ، فالنابغة الذبياني يسلي همه بناقته الشديدة الصلبة ،يقول : (٧)

فَسَلَّيْتُ ما عِنْدي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ ... تَخُبُّ بِرَحْلي تارَةً وتُناقِلُ

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٨٣ .
(٢) الأصر : الحبس .
(٣) المهمهة : الأرض بعيدة الأطراف المقفرة .
(٤) فرّها : نظر إلى سنّها ،سدسا : دخلت في الثامنة من عمرها ، بزل نابها : انشق .
(٥) حرف تشذّر : ترفع ذنبها لأنها لقحت ، ريان منغمس مستحقب : يعني ولدها الذي حملته ، رزأ : أصاب ،أخذ .
(٦) أوكت : عقدت ،عواهنها : ما حول رحمها .
(٧) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطرفة بن العبد يسلّي همومه بناقته فيقول : (١)

وإنّي لأُمْضي الهَمّ عِنْدَ احْتِضارِهِ بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وَتَغْتَدي

فتسلية الهمّ بالناقة عنصر من العناصر التي تكررت عند الجاهليين وحافظ عليها عدي في شعره .

وأظهر في هائيته الصفات العظيمة التي تتحلّى بها ناقته ،فهي قويّة لا تثنيها الأهوال عن بلوغ غايتها ،وهي ملجؤه ووسيلته الوحيدة لتناسي همومه التي تقض مضجعه ، فبعد أن شاهد ارتحال ظعن صاحبته ،لم يجد وسيلة تنسيه ذلك المنظر إلّا ناقته ،يقول : (٢)

أَفَلا تَناساها بِذاتِ بُرايَةٍ عَنْسٍ تَجِلُّ إذا السِّفارُ بَراها (٣)

تَطوي الفَلاةَ إذا الإكامُ تَوَقَّدَتْ طَيَّ الخَنيفِ بِوَشْكِ رَجْعِ خُطاها (٤)

وَتَشولُ خِشْيَةَ ذي اليَمينِ بِمُسْبَلٍ وَحْفٍ إذا صَحِبَ الذِّئابَ حَماها (٥)

مُتَذَيِّلٌ لَوْنُ المَفاصِلِ فَوْقَهُ عَجْبٌ أَصَمُّ يَسُلُّ خورَ صَلاها (٦)

نُحِتَتْ بِهِ عَجْزٌ كَأَنَّ مَحالَها دَرْجُ سُلَيْمانُ القَديمُ بَناها (٧)

بُنِيَتْ على كِرْشٍ كَأَنَّ حُرودَها مُقَطٌ مُطَوّاةٌ أُمِرَّ قُواها (٨)

في مُجْفَرٍ حابي الضُّلوعِ كَأَنَّهُ بِئْرٌ يُجيبُ النّاطِقينَ رَجاها (٩)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٩٣ .
(٣) ذات براية : مكتنزة ذات لحم وشحم ،عنس: البازل الصلبة من النوق ، السفار: السفر ،براها : أتعبها .
(٤) الإكام : الروابي ،الخنيف : ضرب من الكتان .
(٥) تشول : ترفع ،مسبل : ذنبها ،وحف: غزير الشعر .
(٦) متذيل : متحرّك ،عجب: (العصعص) ،أصم : مكتنز صلب شديد ،يسل : ينتزع خور: ضعف ،صلاها : وسط ظهرها .
(٧) نحست: غرزت ، محالها : فقرات ظهرها .
(٨) الكرش: البطن ،حرودها : أمعاؤها ، مقط مطوّاة: حبال مفتولة .
(٩) مجفر : منتفخ وواسع ، حابي : مشرف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَيَقودُ ناهِضُها مَجامِعَ صُلْبِهـــا قَوْداً وَتَبْتَدِرُ النَّجاءَ يَداهـا (١)
وَتَسوقُ رِجْلاها تَوالِيَ خَلْفِهَـــا طَرْداً وَتَلْتَطِسُ الحَصى بِعَجاها (٢)
وبِها مُناخٌ قَلَّما نَزَلَتْ بِـــــهِ وَمُصَمَّعاتٍ مِنْ بَناتِ مِعاهـــا (٣)
سودَ تَوائِمٌ مِنْ بَقِيَّةِ حَسْوِهـــا قَذَفَتْ بِهِنَّ الأَرْضَ غِبَّ سُراهـا (٤)

لقد وصف عديّ في الأبيات السابقة ناقته وصفاً دقيقاً مفصّلاً ،فشبّه ذنبها بالسوط في حركته ،وهي حركة تخيف الذئاب إذا حاولت الاقتراب منها ، فهي حريصة كل الحرص على الحياة ،تحاول ما أمكنها إبعاد المخاطر عنها ،أما لونه فإنه يشبه لون مفاصـــل الناقة نفسها ،والجزء العلوي منه مكتنز ،وانتقل بعد ذلك إلى وصف فقرات ظهرها ،فقال إنها تشبه الدرج الذى بناه سليمان عليه السلام ، كناية عن عظمها ، وشبّه ضلوعها بالبناء الضخم،وذكر أن بطنها يحتوي على أمعاء عظيمة تشبه الحبل المفتول كناية عن شدتهـــا وقوّتها ،وشبّه بطنها بمئر واسعة يتردد فيها الصدى ،أما رأس منكبها فيقود مجامـــع ظهرها قيادة محكمة ، وإذا مشت هذه الناقة فإن يديها أول الأجزاء حركة ، وحـــين تمشي يتطاير الحصى تحت قدميها فيضرب مؤخرتها ،وهذا دليل على سرعة عدوهـــا . ونلاحظ أن عديّا أبدى براعة فائقة في وصفه الدقيق لأجزاء الناقة ،فلم يترك عضواً منهـــا دون أن يقف عنده ويبرزه ،فأنتج لوحة فنية جميلة واضحة القسمات ،تنبض بالحياة والحركة .

وانتقل بعد وصف أجزاء الناقة إلى وصف المكان الذى نزلت به ، وما خلفتـــه في هذا المكان ،حيث تركت بعرات متلاصقات ،تكونت من بقية الماء الموجود في جوفهـــا ، فقذفتها على الأرض بعد ضب شربها ، لأنها تشرب يوما وتترك يومـــا .

---

(١) ناهضها : رأس منكبهـــا .
(٢) تلتطس : تدق وتضرب ،عجاها : مؤخر الوظيـــف .
(٣) مناخ : موضع تنوخ الجمل ،مصمعات : بعـــرات .
(٤) حسوها : شربها ،غب سراها : تشرب يوما وتترك يومـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر أنه نام نوماً عميقاً قرير العين ،لانه يعلم أن ناقته تستطيع حمايته وتخليصه من المواقف الحرجة ،ثمّ استيقظ من نومه بعد أن نال قسطاً من الراحة ، فقام وعصب رأسه بعمامته السوداء ،وأمسك زمام ناقته واسعة الجوف ،وشدّ رحله عليها ليعاود رحلته ، يقول : (١)

وَكَأَنَّ مَضْطَجَعَ امْرِئٍ أَفْنَى بِهِ ... لِقَرَارِ عَيْنٍ بَعْدَ طُولِ كَرَاهَا (٢)
حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ ضَبَابَةُ نَوْمِهِ ... عَنْهُ وَكَانَتْ حَاجَةً فَقَضَاهَا
أَهْوَى فَعَصَّبَ رَأْسَهُ بِعَمَامَةٍ ... دَسْمَاءَ لَمْ يَكُ حِينَ نَامَ طَوَاهَا (٣)
ثُمَّ ارْتَلَبَّ إِلَى زِمَامِ مُنَاخَةٍ ... كَبْدَاءَ شَدَّ بِنِسْعَتَيْهِ حَشَاهَا (٤)

إنّ ناقة عدي تقطع الصحارى المقفرة المرعبة ، تصل الليل بالنهار من غير تعب ، وتصبر على ما تقاسيه من عناء ،وما تواجهه من أخطار في سبيل إيصاله إلى غايته ، فناقته تمثّل الصورة المثلى التي يرنو إليها ،وهو يأمل أن تكون مشابهة له ،تجابه المخاطر والأهوال بجسارة وإقدام ،وتخترق هذه الصحراء بعزيمة وقوة ، فأظهرها في حالة صراع مع الطبيعة التي حاول التغلب على قساوتها واجتيازها على ناقته ، يقول الدكتور محمد محمد حسين : " كان اقتحام الصحراء والصبر على مكارهها والجرأة على مخاطرها ضرباً من المغامرة التي يطيب للشاعر أن يفتخر بها في شعره " (٥) .

ونلاحظ أن عدياً استعان بصور وتشبيهات شاركه فيها غيره من الشعراء الجاهليين والإسلاميين الذين تحدّثوا عن الناقة .

---

(١) معجم البلدان : مادة مناظر ،الطرائف الأدبية ص ٩٥ .
(٢) كراها : نومها .
(٣) دسماء : سوداء .
(٤) ارتلبّ : استقام ، كبداء : عظيمة الوسط .
(٥) د . محمد محمد حسين : أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ . وصف حمار الوحش :

وصف الشعراء الجاهليون حمار الوحش وأتانه (١) في معرض حديثهم عن الناقة ،فشبّهوها في صلابتها وقوّتها وشدّة عدوها به ،وتبدأ قصته عندهم بمنظره يرعى منفرداً أو معه أتانه (٢) التي تعاسره حينا فيطاردها ويدفعها أمامه ويخلو بها ، وهي تتمرد عليه تارة وتستجيب له أخرى (٣) ، وهما في عدوهما يثيران غباراً كأنه غلالة رقيقة يتجاذبانها (٤) ، ويمرّ فصل الشتاء وهما في أحسن حال ، ثمّ يأتي فصل الصيف ،فتنضب المياه ،ويضطر الحمار للبحث عن مصدر آخر للماء ،وتناط هذه المهمة به لأنها من واجباته ،ويغلب أن يدع الشعراء الحمر الوحشية تنعم بالماء فلا يفزعونها ويختمون قصتها ختاماً مفرحاً على نقيض الضفادع (٥) ، وقد يدخل الشعراء عنصراً آخر في قصة حمار الوحش ،فيضعون صائداً بجانب الماء يترصّد له فيرميه بسهمه دون أن يؤذيه (٦) ، هذه هي أهم عناصر قصة حمار الوحش التي ترددت في شعر كثير من شعراء الجاهلية كامرئ القيس والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبي سلمى والأعشى وغيرهم .

وشبّه عديّ ناقته بحمار الوحش وأتانه ،ولكنه نسب عنصراً من عناصر قصة البقرة الوحشية إلى الأتان ،عندما تحدّث عن فقدها لولدها وأكل السّباع له ،يقول (٧) :

وَفَدَتْ تُنازِعُهُ الجَديلَ كَأَنَّهَا ... بَيْدانَةٌ أَكَلَ السِّباعُ طَلاهـا (٨)

حتّى إِذا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حالِقٌ ... وَرَأَتْ بَقِيَّةَ شِلْوِهِ فَشَجاهـا (٩)

---

(١) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢ .
(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢ .
(٣) الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٦ ،الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٣٨ .
(٤) الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٦ .
(٥) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٣ .
(٦) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٣ .
(٧) الطرائف الأدبية ص ٩٥ ،معجم البلدان ،مادة مناظر .
(٨) الجديل : الزمام المجدول من الأدم ، طلاها : ولدها .
(٩) أسحق حالق : ذهب ما في ضرعها من اللبن ،شلوه : جلده ،شجاها : أحزنها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه صفة لازمة في الشعر العربي للبقرة الوحشية التي كثيراً ما تفقد وليدها ، وبعد أن تيأس من العثور عليه ويجف لبن ضرعها ،تكتشف أن السّباع أكلته ،وتعثر على أشلائه ودمائه متناثرة فوق الرمال ،فتبات ليلتها حزينة ثكلى (١) ، وأبرز لبيد هذه الصورة فقال : (٢)

عَلِهَتْ تُرَدِّدُ في نِهاءِ صَعائِدٍ ... سَبْعاً تُؤامًا كاملاً أيّامُها
حتّى إذا يَئِسَتْ وأسحَقَ حالِقٌ ... لَمْ يُمْلِ إرْضاعُها وَفِطامُها

وتناول هذه الصورة غير شاعر كزهير بن أبي سلمى والأعشى وغيرهم ، وجميعهم نسبوها إلى البقرة الوحشية . ويتابع عدي سرد قصة الحمار الوحشي وأتانه فيقول :

قَلِقَتْ وعارَضَها حِصانٌ حائِصٌ ... صَحِلُ الصَّهيلِ ،وَأدْبَرَتْ فَتَلاها (٣)
يَتعاوران مِنَ الغُبارِ مُلاءَةً ... بَيْضاءَ مُخْتَلَةً هُما نَسَجاها (٤)
تُطْوَى إذا عَلَوا مكاناً جاسِياً ... وإذا السَّنابِكُ أسْهَلَتْ نَشَراها (٥)
فألَحَّ واعْتَزَمَتْ عليه بِشَأْوِها ... شَرَكَيْنِ ثُمَّتَ رَدَّها فَثَناها
بسرارَةٍ خَفَقَ الرَّبيعُ غُثاءَها ... حَوّاءُ يَزْدَرِعُ الغَميرُ ثَراها (٦)
فَتَصَيَّفاها يَصْحبانِ كلاهُما ... لِقِرى الجَحافِلِ مِنْ وَكيفِ يَداها (٧)
حَتّى اصْطَلى وهجَ القَيظِ وخانَهُ ... أبقى مَشارِبِهِ وشابَ عُثاها (٨)
ونوى القِيامَ على الصُّوى فَتَذَكَّرا ... ماءَ الناظِرِ قُلْبُها فأضاها (٩)

---

(١) الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ٢٦٢ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٢ ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٣٣ .
(٢) شرح ديوان لبيد بن أبي ربيعة ص ٣١٠ .
(٣) حصان حائص: يعني حمار الوحش،صحل الصهيل : حدّة في الصوت مع بحّة .
(٤) يتعاوران : يتجاذبان ، ملاءة : عباءة .
(٥) جاسيا : مرتفعا .
(٦) سرارة : أكرم الوادي وأفضله ،خفق : أسال ،غثاءه : كثيرة العشب ، يزدرع الغمير ثراها : يصيبها المطر حتى يغمرها .
(٧) ثرى الجحافل : الندى .
(٨) وهج القيظ : وقت القيظ ،شاب عثاها : يبس عشبها .
(٩) الصوى : الحجارة ،ماء الناظر: موضع في ديار عاملة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَأَرَنَّ تارَتَها إذا عَرَضَتْ لَـهُ ... بَيْداءُ ذاتُ مَخارِمٍ عَسَفاهـا (١)
حتّى تَأَوَّبَ ماءَ عَيْنٍ زَغْـرَبٍ ... يَبْغي الضَّفادِعَ في نَقيعٍ صَراها (٢)

لقد عرض الحمار لهذه الاتان القلقة المضطربة ،وهو يمتاز بصوته الحاد ، فلمّـا رأته أدبرت وهربت ،فلحق بها وتعاركا طويلاً ،فنسجا دائرة من الغبار حولهما ، تخالها غطاءً نسجاه ليغطيا أنفسهما به ، وألح الحمار عليها لكنها تمنّعت، وفي النهاية تمكّـن منها ،وعاشا في وادي سرارة الخصيب فصل الربيع ، حيث نبت العشب وانبعثت الحيـاة ومكثا في ذلك الوادي فصل الصيف يشربان من مائه ويأكلان من عشبه ، ولكنّ هذا النعيم لم يدم طويلاً ،إذ جفّ العشب ،ونضبت المياه ، وأصبح لا بدّ للحمار من البحث عن المـاء فتذكّر ماء المناظر الذي تحول دونه مخاطر كثيرة ،ولكنهما عدلا عن الرحيل إليه تحاشيا لتلك المخاطر ،وصبرا على شظف العيش ،ومصاعب الحياة حتى عاد الماء إلى تلك العين بكثرة ، بعد أن كانت الضفادع تعيش فيها لطول استنقاع مياهها . فهذا الحمار حريص كل الحرص على الحياة ،فعلى الرغم من قسوة الظروف المحيطة به ،فإنه قاومها وانتصـر عليها ، ونلاحظ أن عديّا اكتفى بهذه العناصر من قصة حمار الوحش ،فلم يعرض لصورة الصائد الماهر الذى يحمل قوسه وسهامه ذوات النصال المحددة ، كما أنه لم يعرض لصفات الحمار نفسه ، فلم يحدثنا عن قوته وقسوته وضموره كما فعل الشعراء الذين تعرضوا لـه ، وقد نفث في قصته كل ما يضطرب في نفسه من قلق وخوف ووساوس إزاء فكرة الحياة والمـوت التي أرّقته طويـلاً .

---

(١) مخارم عسفاها : سارا بغير هدايـة .
(٢) تأوب: وصل ،زغرب: كثير ،غزير ،الصرا :الماء الذى طال استنقاعـه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. وصف القطا :

شبّه الشعراء الجاهليون خيلهم بالقطا ،ليدلّلوا على سرعتها وقوة احتمالها ونشاطها ،وكانوا يصوّرون القطاة وهي تسرع في طيرانها نحو الماء (١) ، وهم يديرون معركة بينها وبين العقاب الذى ينقض عليها ،وتكون نتيجة المعركة نجاة القطاة وهلاك العقاب الذى يصطدم رأسه بمرقبة ،وتعود القطاة إلى أفراخها تمج في أشداقها الماء (٢) .

ويرى الدكتور وهب رومية أن الشعراء الجاهليين لم يشبهوا الناقة بالقطاة إلاّ تشبيهاً قصيراً (٣) ، وأن الأخطل هو أول شاعر يحكي قصة طائر القطا في معرض تشبيه الإبل به في الرحلة (٤) .

وتحدّث عديّ بن الرقاع عن القطاة مشبهاً ناقته بها وهذه القطاة تمتاز بصفات كثيرة جعلتها من أقوى الطيور وأصبرها على تحمّل مشاق الحياة ومتاعبها ، يقول :(٥)

كَأَنَّهَا وَهْيَ تَحْتَ الرَّحْلِ لاهِيَةً ... إذا المَطِيُّ على أَنْقَائِهِ ذَمَلا (٦)
جُونِيَّةٌ مِنْ قَطَا الصَّوّانِ مَسْكِنُهَا ... جَفَاجِفٌ تُنْبِتُ القَفْعاءَ والبَقَلا (٧)
باضَتْ بِحَزْمِ سُبَيْعٍ أَوْ بِعَرْفَضِهِ ... ذي الشِّيحِ حَيْثُ تَلاقى التَّلْعُ فانْسَحَلا (٨)

---

(١) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص٨٦ ،الطبيعة في الشعر الجاهلي ص١٩٨ .
(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٦ ،الطبيعة في الشعر الجاهلي ص٢٠٠ .
(٣) وهب رومية : قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموى ص ٤٠٥ .
(٤) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموى ص ٤٠٧ .
(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٤ ،معجم البلدان ،مادة سبيع .
(٦) أنقاء : أول السنة ، الذمل : السير اللين السريع .
(٧) جفاجف : ما استوى من الأرض في غلظ ،القفعاء والبقل : نبات .
(٨) الحزم : ما غلظ من الأرض وارتفع ،سبيع : موضع ، التلع : جمع تلعة وهي تسفل من الإرتفاع إلى بطن الوادي ، انسحلا : انصب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تروي لا زُغْبَ صَيْفِيٍّ بِمَهْلَكَةٍ ... إذا تَكَشَّفَ أولادُ القَطا خَذَلا (١)
تَنوشُ مِنْ صُوَّةِ الأَنْهارِ تُطْعِمُهُ ... من التَّهاويلِ والزُّبادِ ما أَكَلا (٢)
تَضُمُّهُ لِجَناحَيْها وَجُؤْجُؤِها ... ضَمَّ الفَتاةِ الصَّبِيَّ السُّفَيْلَ الصَّغِلا (٣)

فهذه القطاة تعيش في أرض صلبة غليظة ،يكثر فيها نبات القفعاء والبقل ، الأمر الذى أكسبها صلابة وقوة ، وقد باضت في أرض سبيخ الخشنة المليئة من نبات الشيح ، وهي أرض وعرة صعبة ،لا يستطيع أن يعيش فيها غير هذا الطير ، وقد اختارتها بهذه الصفات لتحمي صغارها ،وأخذت تنقل الطعام من أماكن بعيدة لتطعم صغارها ، ويستطرد عدي في وصفها ،فيشبّهها في حنانها بالفتاة التي تضمّ طفلها إلى صدرها حين ترضعه ،وهذا شأن هذه القطاة التي تضم فراخها تحت جناحيها وصدرها لشدّة حبّها لهم ، إنه طير أصيل يكابد العناء والمشقة ليربي فراخه ،وناقة عدي شبيهة به تتجشّم المصاعب والمكاره وتقطع الفلوات المقفرة الموحشة لتوصل صاحبها إلى غايته مع محافظتها على سلامته ،وحرصها الشديد على إبعاد الخطر عنه .

ونلاحظ أن عدياً استخدم الصور التي استخدمها الشعراء الجاهليون في تشبيه خيلهم بالقطا ،ولكنه استبدل بالناقة الخيل ،فشبّه ناقته بها ، وذكر أنها تذهب بعيداً لجلب الماء لفراخها العطاش،وتقاسي الأهوال وهي تسعى لتوفير الطعام والماء لها ،وأضفى عليها صورة إنسانية رائعة من صور الحنان حين شبهها بالفتاة التي تضم رضيعها إلى صدرها ،فهي تبذل كل ما في وسعها من أجل تأمين الحياة الجيدة لفراخها .

---

(١) تروى : تكون لها رواية لحمل الماء في حوصلتها ، أزغب صيفي : فرخها الذى خرج من البيضة في فصل الصيف ، مهلكة : مفازة لا ماء فيها ،تكشف أولاد القطا خذلا : تأخر عنها في الطيران لصغر سنّه .
(٢) تنوش : تناول ،صوة الأنهار: حجارة تجمع لتصبح علماً يستدل به ، التهاويل والزباد : نوعان من النبات .
(٣) جؤجؤها : صدرها ،المغيل : الذى يسقي اللبن ،الصغل : سيء الغذاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. وصف الخيل :

حظيت الخيل بمكانة عظيمة في نفوس العرب، واعتنوا بها عناية خاصة (١)، فهي عدّتهم للقتال وأداتهم التي يستطيعون بها ملاحقة صيدهم، وصوّر الشعراء الجاهليون الفرس عضواً عضواً، ذاكرين ما فيه من العتق (٢)، وكانوا يشبّهونه بالعقاب والباز والصقر والنعامة والقطاة (٣)، فمثلا عندما كانوا يشبهونه بالعقاب تنتصر العقاب على فريستها، وعندما يشبهونه بالقطاة يقتلون العقاب وتنجو القطاة (٤).

ووصف عدي الفرس وصفاً دقيقاً، ورسم له لوحة جميلة أودعها تفصيلات لأعضاء جسمه وحركته ونشاطه وسرعته، ولم يهمل عضواً منه، فحين نقرأ شعره في وصف الخيل نرى أمامنا لوحة فنية واضحة المعالم، أبدعتها يد فنان بارع، يقول في وصف الفرس: (٥)

وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِأَجْرَدَ نَهْدٍ ... لاحَهُ بَعْدَ صُنْعِهِ الضُمّارُ
أَيَّدُ القُصْرَيَيْنِ ما قِيدَ يَوْماً ... فَيُعَنَّى بِضَرْعِهِ بَيْطارُ (٦)
حَوْشَبُ الخَلْقِ أَفْرَعَتْ كَتِفاهُ ... عَنْ مَحانِي ضُلُوعِهِ إِجْفارُ (٧)
وإِذا اهْتَزَّ مُقْبِلاً زانَ مِنْهُ ... أَتْلَعٌ مَا يُنالُ مِنْهُ العِذارُ (٨)
ويُرى مُجْفِراً إِذا هوَ وَلّى ... في حَماتَيْهِ شِدَّةٌ وانْبِتارُ (٩)
ونسورٌ لَها حوافِرُ مِنْهُ ... لا يُرى في أَرْساغِهِنَّ انْتِشارُ (١٠)

---

(١) الأسود الغندجاني: أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٥.
(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٥.
(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١١٤.
(٤) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ص ٨٦.
(٥) ابو عبيدة: كتاب الخيل ص ١٤٤.
(٦) القصريان: ضلعان تليان الترقوتين.
(٧) حوشب: عظيم البطن، الأفرع: الارتفاع والانحدار، الإجفار: انتفاخ الجنبين.
(٨) أتلع: طويل.
(٩) مجفر: عظيم الجنبين، الحماتان: لحمتان في عرض الساق، الانبتار: الانقطاع.
(١٠) نسور: شواخص في باطن الحافر، انتشار: انتفاخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالجلاميدِ بالمَسيلِ عَـــلا هُنَّ مِنَ الماءِ خُضْرَةٌ واصْفِرارُ
مُشِقَ اللَّحْمُ عَنْ حماتَيْهِ مَشْقـــاً فَتَعالى واشْتَدَّتِ الأَوْتـــارُ (١)
وعلى الزَّوْرِ مَنْبِضُ القَلْبِ مِنْـــهُ بحيازيمَ بَيْنَها أَسْـــيارُ (٢)
فهوَ طافٍ أَقَبُّ كالمَسَدِ الأَمْلَـــسِ عارى الشَّوى مُمَرٌّ مُفـــارُ (٣)
شاخِصُ الحُرَّتَيْنِ يَنْفُخُ مِنْـــهُ قِطَعَ الرَّبْوِ مِنْخَرٌ نَشَّـــارُ (٤)
وهو شاحٍ كأَنَّ لِحْيَيْهِ حِنْـــوا قَتَبٍ لاحَ مِنْهُما النِّجـــارُ (٥)

إنّه فرس مكتمل الصفات ،سليم البدن ،لم يقدم يوماً للمعالجة ،قوى الضلـــوع، خفيف الحركة ،نشيط، كتفاه مرتفعتان واسع الجوف ،في ضلوعه انحناءة من أعلى أصولها مما يدل على عتقه وكرمه ،وهو طويل تزينه رقبة طويلة ،عظيم الجنبين ،شديد العـــدو، سريع لا تكاد حوافره تلامس الأرض كأنه يطير طيراناً، ويستمر عديّ في رسم لوحة فنيـــة لذلك الفرس فيخرج ألوانها بمهارة وحذق ،حتى ليخيّل لنا أننا أمام نحّات مبـــدع، أفرغ كل موهبته ومهارته في نحت تمثاله الذى يعتزّ به ، فيصوّر اشتداد أوتاره وعضلاتـــه ولحم ساقيه ، ثم ينتقل إلى حزامه الذى ترك آثاراً على صدره تشبه القدود ، كناية عـــن شدّها استعداداً للجولة التي سيقوم بها ،وعندما يعدو تخاله يطفو على سطح الرمـــال إنه فرس دقيق الخصر ، ضامر البطن ،أملس الظهر ،خلت أطرافه من الشعر ،أذناه صافيتان دائماً لسماع ما يدور حوله ، فهو يتميز بحدّة عظيمة وذكاء مفرط ،وإحساس بالغ لنجابـــة أصله وعتقه .

ولم يراع عديّ في وصف الفرس أي ترتيب لأعضائه ، فبدأ بوصف ضلوعه ثمّ كتفيه ثم انتقل إلى جوفه وضلوعه مرة أخرى وعاد إلى وصف رقبته وساقيه وبطنه وظهره وأذنيه وأنفـه

---

(١) مشق : جذب ليمتد ويطـول .
(٢) الزور : الصدر ،أسيار: قدود في الجلد .
(٣) طاف : يطفو على الرمال من شدة العدو ،أقب: دقيق الخصر ضامر البطن ، المسد الأملس: الحبل المشدود ،عارى الشوى : أطرافه خالية من الشعـــر ، ممر: مشدود ،مفار : شديد المفاصـل .
(٤) الحرتين : الأذنين ،قطع الربو: النفس العالي ،نشار: واسـع.
(٥) شاح : فتح فمه ،لحييه : حائطا فمه ،حنوا قتب: جانبا الإكاف ، لاح منهما النجار: ظهر منهما نسبه الأصيـل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون ترتيب . ويرى الدكتور كامل الدقس " أن انتقال الشاعر المفاجيء من عضو إلى عضو يدل على أنه لم يكن يصف فرساً رآها أمامه وعرفها بالذات ،بل يصف فرساً مثالية ينقل أوصافها مما يدركه من الخصائص العامة للخيل " (١)

وشبّه فرسه في مقطوعة ثانية بتيس الفلاة أو جؤذر الحلب السمين النشيط بسبب طيب مرعاه ، يقول : (٢)

على كُلِّ سَلْهَبَةٍ لاحَهـا ... طِرادُ المَسالِحِ أَوْسَلْهَبِ (٣)
أَشَقَّ شُخَيْصٍ كَتَيْسِ الفَلا ... ةِ يَسْتَنُّ أو جُؤْذَرِ الحُلَّبِ (٤)
إذا ما تَصَعْلَكَ مِنْ حَشْوَةٍ ... فَأَصْبَحَ كالفَرَدِ الأَشْعَبِ (٥)
أَمَرَّتْ حَوامِلُ أَوْصالِهِ ... كما تَسْتَمِرُّ قُوى القِنِّبِ
وأَشْرَفَ حارِكُهُ والقَطا ... ةُ مِنْهُ على طاءَةِ المَرْكَبِ (٦)
على أَنَّ مُجْتَمَعَ القُصْرَيَيْنِ ... لَيَمْنَ بِفَوْطٍ ولا أَحْدَبِ (٧)
كُمَيْتٌ كأَنَّ على مَتْنِهِ ... سَبائِكَ مِنْ قِطَعِ المُذْهَبِ (٨)

ويظهر لنا أن عديّا أخذ بعض صوره من شعر أبي دؤاد الأيادي ، فنسج مقطوعته الأولى على غرار مقطوعة أبي دؤاد في الخيل ،وهي مشابهة لها في الوزن والقافية ، وربما وقع خلط بين شعر الشاعرين ،أما قول عدي : (٩)

أَيَّدُ القُصْرَيَيْنِ ما قِيدَ يَوْماً ... فَيُعَنَّى بِصَرْعِهِ بَيْطارُ

---

(١) د . كامل سلامة الدقس: وصف الخيل ص ٨٩ .
(٢) كتاب الخيل ص ١٤٥ .
(٣) السلهبة : الطويلة من الخيل ،لاسها :غيرها وأضمرها ،المسالح : المراقب.
(٤) الاشق : الطويل ،يستنّ : ينشط ،الحُلَّب: نبات ترعاه الظباء والشياه .
(٥) تصعلك : طار شعره (وبره) ،الحشوة : السنة ،الفرد الأشعب :الثور ذو القرنين .
(٦) حاركه : كاهله ،القطاة : ما بين الوركين ، طاءة المركب : سهولته .
(٧) الفوط : المطمئن .
(٨) المذهب: المموّه بالذهب .
(٩) كتاب الخيل ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فورد بنصّه في مقطوعة أبي دؤاد (١) ، وأما قولـه :

" في سحاني ضلوعه إجفار " فورد في شعر أبي دؤاد بنصّه (٢) أيضا ، هذا إضافة إلى بعض الصور والألفاظ التي ضمنها عدي شعره ،وأخذها من شعر أبي دؤاد كقوله :(٣)

وهو شاحٍ كأنّ لِحْيَيْهِ حِنْسُوا قَتَبٍ لاحَ مِنْهُما النِّجارُ

وقول أبي دؤاد : (٤)

وهو شاحٍ كَفَكَّةِ القَتَبِ المُجْلَبِ شَدَّ القَرا عَلَيْهِ الإِطارُ

واشتركا في كثير من الالفاظ التي وردت في مقطوعتيهما ،مثل :

" أفرعت كتفاه ، ولقد أغتدي ، ونهد ، وغيرهـا " .

ومهما يكن من الأمر فقد أبدع عديّ في رسم صورة فرسه إبداعاً حسناً ، وبيّنه فيها في أحسن حال ،فامتاز بالقوة والصلابة وسرعة الحركة والنشاط واكتمال الخلق فهو فرس أصيل كريم .

---

(١) كتاب الخيل ص ١٤٣ .
(٢) كتاب الخيل ص ١٤٣ .
(٣) كتاب الخيل ص ١٤٥ .
(٤) كتاب الخيل ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - وصف الشباب والشيب :

تحدث عدي عن الشباب والشيب في قصائده ،فبيّن تفجّعه على شبابه وجزعه من مشيبه ، فالشيب عنده ينبيء بقرب نهايته وذبوله وعزوف النساء عنه ،ولم يفرد قصائد مستقلة للحديث عن هذه القضية ،وإنما تحدث عنها في تضاعيف قصائده ، وجاء حديثه عن الشيب والشباب في معظم الأحيان بعد حديثه عن الأطلال والمرأة ، مما يؤكد ضجره من الشيب الذى يؤذن بقرب أجله .

وشبّه الشّباب في إحدى قصائده بالضّيف الزائر الذى يلمّ به ولا يلبث أن يرتحل ، وذكر كذلك فزع النساء وعزوفهن عنه بسبب انتشار الشيب في رأسه مردداً أن مرحلة الشباب مرحلة قصيرة الأوان ،يقول : (١)

وراعَهُنَّ بوَجْهي بَعْدَ جِدَّتِهِ ... شَيْبٌ تَفَشَّغَ في الصُّدْغَيْنِ فاشْتَعَلا (٢)

وسارَ غَرْبُ شَبابي بَعْدَ جِدَّتِهِ ... كَأَنَّما كانَ ضَيْفاً خَفَّ فارْتَحَلا

وهو شبيه بقول زهير بن أبي سلمى : (٣)

وقالَ العَذارى إنَّما أنْتَ عَمُّنا ... وكانَ الشَّبابُ كالخَليطِ نُزايلُهْ

فَأَصْبَحْنَ لا يَعْرِفْنَ إلّا خَليقَتي ... وإلّا سَوادَ الرَّأْسِ والشَّيْبُ شامِلُهْ

فزهير يتحدث عن نفور الغواني منه ودعوتهن له عمّهن بسبب شيبه .

وهو شبيه بقول كعب بن زهير الذي يتمنى عودة الشباب ثانية وعدم مفارقته :(٤)

لَيْتَ الشَّبابَ حَليفٌ لا يُزايلُنا ... بَلْ لَيْتَهُ ارْتَدَّ مِنْهُ بَعْضُ ما سَلَفا

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٨١ .
(٢) تفشغ: كثر وانتشر .
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٦٤ .
(٤) السكرى : شرح ديوان كعب ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتكرر المعاني نفسها في شعر عديّ ،فالنساء ينفرن منه لكبره ،وهو يعترف بهذه الحقيقة المرّة على نفسه ، يقول : (١)

يَذْعَرْنَ مِنْ صَلَعِ الرِّجالِ وَشَيْبِهِمْ ... وَيَمِقْنَ شيمَةَ كُلِّ أَهْيَفَ عارِمِ

أَعْرَضْنَ حينَ فَقَدْنَ غَرْبَ بَطالَتي ... وَنَسينَ حُسْنَ خَلائِقي وَتَمائِمي

ونلمس الحسرة والألم الذي يكابده عديّ من انتشار الشيب في رأسه ، وصدود النساء عنه .

وأحس عديّ بقصر الأيام التي قضاها مع النساء ،وذكرى أيام الشباب تثير في نفسه قلقاً واضطراباً ، لأنها فارقته إلى غير رجعة ،يقول : (٢)

كانَ الشَّبابُ قِناعاً أَسْتَكِنُّ بِهِ ... وَأَسْتَظِلُّ زَماناً ثُمَّتَ انْقَشَعا

فاسْتَبْدَلَ الرَّأْسُ شَيْباً بَعْدَ داجِيَةٍ ... فَيْنانَةٍ ما تَرى في صَدْغِها نَزَعا (٣)

فَإِنْ تَكُنْ سَيْعَةٌ مِنْ باطِلٍ ذَهَبَتْ ... وَأَعْقَبَ اللّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الوَرَعا

فَقَدْ أَبيتُ أُراعي الخودَ راقِدَةً ... على الوَسائِدِ مَسْروراً بِها وَلِعا

إن هذه القضية تثير قلق عدي وضجره وخوفه من المستقبل ،فبعد بلوغه مرحلة متقدمة من العمر ،وانتشار الشيب في رأسه ، بدأت الحياة تظهر له على حقيقتها ،ولم يجد أمامه من وسيلة غير الابتعاد عن التصابي واللهو ، واتباع طريق التقوى الذى ينجيه في الآخرة من جرائر أعماله أيام شبابه . فالشيب آذن بنهايته ،وما عليه الّا أن يتورّع فلا يليق به أن يستمر في طريق الباطل والتصابي في مثل هذه السن ،يقول : (٤)

وَمِنَ الضَّلالَةِ بَعْدَما ذَهَبَ الصِّبا ... نَظَري إِلى حورِ العُيونِ نواعِمِ

---

(١) شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .

(٢) الأغاني ١ : ٢٨٠ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨ ،نهاية الارب ٤ : ٢٥٣ .

(٣) فينانة : حسنة الشعر طويلته ،النزع : انحسار مقدمة شعر الرأس عن جانبي الجبهة .

(٤) شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يعترف بأن بعض أعماله أيام شبابه كانت باطلاً، " فإن تكن سيمة من باطل ذهبت " وأن الله سبحانه قد هداه إلى طريق التقوى والورع، فابتعد عن التصابي " وأعقب الله بعد الصبوة الورعا " .

ونلاحظ ابتعاد عدي عن ذكر الخمر ومعاقرتها في حديثه عن الشيب والشباب شأنه في ذلك شأن الشعراء المخضرمين والإسلاميين، والخمر معنىً من المعاني الجاهلية التي ذكرت في سياق الحديث عن الشيب والشباب، كما نلاحظ ظهور الأثر الإسلامي في شعره (١).

وألحّ عدي على ذكر انتشار الشيب في رأسه في ثنايا قصائده، فأحزنه هذا المنظر كثيراً، يقول: (٢)

لَوْلا الحَياءُ وَأَنَّ رَأْسي قَدْ عَشا ... فيهِ المَشيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ (٣)

فظهور الشيب في رأسه هو الذي منعه من زيارة أم القاسم.

ويقول: (٤)

عَلاني الشَّيْبُ واشْتَعَلَ اشْتِعالا ... وَقَدْ غَشِيَ المَفارِقَ والقَذالا

ويقول: (٥)

إمّا تَرَيْ شَيْبي تَفَشَّغَ لِمَّتي ... حتّى علا وَضَحٌ يَلوحُ سَوادَها

فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفَتاةِ وسادَةً ... لي جاعِلاً يُسْرى يَدَيَّ وِسادَها

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ص ٩١ .

(٢) أبو تمام: الوحشيات ص ١٩٤، الشعر والشعراء ص ٥١٦، الكامل في اللغة والأدب ١: ٨٦، الأغاني ٣: ٢٧٤، أمالي القالي ١: ٥١١، الحماسة الشجرية ٢: ٦٨١، معجم البلدان: مادة جاسم، لسان العرب: مادة جسم، نهاية الأرب ٤: ٢٤٠، المرزباني: نور القبس ص ١٤٨، شرح شواهد مغني اللبيب ١: ٤٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ٤: ٩٧.

(٣) عشا: أفسد.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: العدد ٣٣ ص ٥٢١ .

(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٩، أساس البلاغة: مادة تفشغ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـــول : (١)

فَبِتُّ أُلَهِّي في المَنام بـــما أرى وفي الشَّيْبِ عَنْ بَعْضِ البَطالَةِ زاجِرُ

فالشيب زاجر عن التصابي وملاحقة النساء ،وهو يعني الحرمان من اللهـــــــو والملذات ،ويثير في نفسه الحزن والخوف ،وفي الوقت نفسه يعتبره ثوب الحياء الـــــذي يستره من اقتراف المعاصي التي لا تليق بـــه ،وهو الحافز الذي يدفعه إلى الإتـــــزان في أعمالـــــه .

---

(١) معجم البلدان : مادة جيحـــان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و - وصف الخمر :

عاقر الجاهليون الخمر وفخروا بشربها كما فخروا بالشجاعة والصبر والكرم وغيرها ، وتحدّثوا عنها في بيت أو أبيات من قصائدهم ، ولم تجمع معانيها وصورها في قصيدة واحدة ، وإنّما جاءت متفرقة في قصائد الشعر الجاهلي (١) . وكانت تلك المعاني والصور هي المصدر الذى اعتمد عليه الشعراء الإسلاميون في وصفهم لها (٢) ، والاعشى رائد الشعر الخمري في العصر الجاهلي (٣) لم يكن يتصدّى للخمريات بقصائد مستقلة منفردة على الرغم من إدمانه لها وشهرته بها (٤) .

ولما جاء الإسلام نهى عن شرب الخمر على مراحل ، ثمّ حرّمه تحريماً قاطعاً ، فاستجاب كثير من المسلمين لهذا التحريم ، وظلّ نفر منهم يتعاطونها سرّاً (٥) ، وابتعد كثير من الشعراء الأمويين عن وصفها وتشبيه ريق صواحبهم بها ، لأنّ الإسلام حال بينهم وبين ذلك ، إلّا أن بعضهم حافظ على التقليد الجاهلي في وصفها دون أن يعدوه أو يتطوروا به (٦) ، فالاخطل أشهر شعراء العصر الأموي وصفاً للخمر ، لم يعرض لها في قصيد مستقلة ، بل ردّد المعاني التي تداولها الشعراء الجاهليون من قبله .

وحافظ عديّ بن الرقاع أيضا على التقليد الجاهلي في وصف الخمر ، فلم يفرد لها مقطوعات خاصة ، بل جاء حديثه عنها ووصفه لها في تضاعيف قصائده ، فوصفها وصفا حسيّاً خارجياً ، وتحدّث عن مصدرها وعتقها وصفائها وشربها ، كقوله : (٧)

عُصارَةُ كَرْمٍ مِنْ حُدَيْجاءَ لَمْ تَكُنْ ... مَنابتُها مُسْتَحْدَثاتٍ ولا قُرْعا (٨)

(١) إيليا حاوى : فن الشعر الخمرى ص ١٤ .
(٢) جميل سعيد : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٤٢ .
(٣) فن الشعر الخمرى ص ٤٧ .
(٤) فن الشعر الخمرى ص ٥٩ .
(٥) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص ٢١٠ .
(٦) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى ص ٢٧ .
(٧) معجم البلدان : مادة مقد ، حديجاء .
(٨) حديجاء : قرية شامية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـــه : (١)

فَكأنّيَ مِنْ ذِكْرِكُمْ خالَطَتْـــني ... مِنْ فِلَسْطينَ بنتُ كَرْمٍ عُقَـــارُ
عُتِّقَتْ في الدَّنانِ في بيْتِ رأْسٍ ... سَنواتٍ وما سَبَتْها التُّجـارُ

فالخمر التي يشبّه نفسه بشاربها خمر شآمية عريقة المنابت، مصنوعة من كـــروم حديجاء . وهي خمر فلسطينية المنشأ مشهورة، عتقت في جرارها في بيت رأس عـــدة سنوات قبل أن ينقلها التجار للبيع، وقد اشتهرت خمر بيت رأس في العصر الجاهلـــي وما تلاه من عصور، وذكرها أكثر من شاعر. فقال حسان بن ثابت الأنصاري : (٢)

كأنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكونُ مِزاجُها عَسَلٌ وماءُ

وقـال : (٣)

شُجَّتْ بِصَهْباءَ لَها سَوْرَةٌ ... مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ عُتِّقَتْ في الخِيامِ

وذكرها أبو نؤاس في قولـه : (٤)

وَتَبْسِمُ عَنْ أَغَرَّ، كأنَّ فيـــهِ ... مُجاجَ سُلافَةٍ مِنْ بَيْـتِ راسِ

وقد تأثر عديّ بخمريات الأعشى الذي وضع الخطوط العامة الكبرى لأدب الخمر(٥)، فاستعار منه ألفاظاً بعينها، وضمنها أشعاره، كقولـه : (٦)

تُريكَ القَذى مِنْ دَنِّها وهيَ دونَهُ ... لِوَجْهِ أَخيها في الإِناءِ قطـــوبُ

إذ ورد صدر البيت السابق عند الأعشى في موضعين من شعره، حيث يقـول : (٧)

تُريكَ القَذى من دونِها وهي دونَهُ ... إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّـــقُ

---

(١) معجم البلدان : مادة فلسطين، لسان العرب : مادة سنه .
(٢) شرح ديوان حسان ص ٥٦، معجم البلدان : مادة بيت رأس.
(٣) شرح ديوان حسان ص ٤٣٤ .
(٤) معجم البلدان : مادة بيت رأس .
(٥) فن الشعر الخمري ص ٩٥ .
(٦) العقد الفريد ٤ : ١٠٢، أمالي المرتضى ١ : ٢٧٧، وفيات الأعيان ٢ : ٤٢٦ .
(٧) ديوان الأعشى ص ٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـــول : (١)

تُريكَ القذى وهيَ منْ دونـِـهِ إذا ما تُصَفَّقُ جِرْيالُهـا

كما شارك عديّ الأعشى وحسان بن ثابت في وصف ما تفعله الخمر في شاربهـا وتأثيرها فيه ،وكيف تميت مفاصلـه ،وتسري في دمه وعظامه ،يقول عدي : (٢)

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ و في الكَأْسِ وَرْدَةٌ لها في عِظامِ الشارِبينَ دَبيبُ

فقد قال الأعشـى : (٣)

تَدِبُّ لَها فُتْرَةٌ في العِظـــامِ وتُفْشي الذُّؤابَةَ فوّارَهـــا

وقال حسان بن ثابت : (٤)

تَدِبُّ في الجِسْمِ دَبيباً كَمـــا دَبَّ دبيٌّ وسْطَ رَقاقٍ هَيـــامِ (٥)

فتأثر عدي بمعاني الأعشى وحسان بن ثابت وصورهما واضح في شعره الخمـري .

ولم يؤثر عن عدي أنه شرب الخمر وعاقرها ،كما أنه لم يصرّح بذلك في شعـــره ، ولم يصف مجالسها وسقاتها وقيانها ،كما فعل شعراء الخمر السابقين ،وإنما اكتفى بتشبيـه نفسه بشاربها الذي أدمنها ، فأصبحت جزءا من حياته ،وأخذت من نفسه كل مأخـــذ ، وأصبح لا يستغني عنها ، فأكثر من شربها ،يقـول : (٦)

أَميدُ كأنّي شارِبٌ لَعِبَتْ بـــهِ عُقارٌ ثَوَتْ في دَنِّها حِجَجاً سَبْعا

مُقَدِّيَّةٌ صَهْباءُ تُشْخِنُ شَرْبَهـا إذا ما أرادوا أنْ يُراحوا بِها صَرْعى

---

(١) ديوان الأعشى ص ٢١٣ .
(٢) العقد الفريد ٤ : ١٠٢ ، أمالي المرتضى ١ : ٢٧٧ ،وفيات الأعيان ٢ : ٤٢٦ .
(٣) ديوان الأعشى ص ٣٦٩ .
(٤) شرح ديوان حسان ص ٢٣٤ .
(٥) الدبي :أصغر النمل ،الرقاق : الصحراء والأرض اللينة ، الهيام : ما لا يتماســـك من الرمـــل .
(٦) معجم ما استعجم : مادة مقد ، معجم البلدان : مادة مقد ،لسان العرب: مادة مقد ، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـــول : (١)

كَشَارِبِ الخَمْرِ لا تَشْفى لَذاذَتُـــهُ ولو يطالِعُ حتّى يُكْثِرَ العِلَـلا

فشعره في الخمر ليس دليلاً على معاقرته لها ،ولا نشكّ في أنه كان على اطـــلاع على صفاتها ،وصفات شاربيها ،وما تفعله بهم ،ولهذا نجد وصفه لها يرد في شعـــــره على أساس التشبيهات والصور ،وقد اقتبس من شعراء الخمر السابقين ، وا كتسب هـــذه المعرفة من التراث الشعري الجاهلي في الخمر ،وتأثره بخمريات الأعشى وحسّان بـــــن ثابت،ونقله بعض الصور والمعاني عنهم يقوّي هذا القـــول .

---

(١) الطرائف الأدبيـــة ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : الفخر

لا يخلو ديوان من دواوين الشعر العربي من الفخر، فقد افتخر الشاعر الجاهلي بخصاله الحميدة وشجاعته وقوته وكرمه، وافتخر بقبيلته وبطولاتها وأمجادها وارتبط الشاعر الأموي بقومه ارتباطاً وثيقاً، فهو يستظهر بهم، ويعتزّ بالانتماء إليهم ولا يرى قوماً يعدلونهم شرفاً ومكانة (١). والذى يمعن النظر في الفخر الأموي يجده شبيهاً بالفخر الجاهلي، فهو ينزع إلى ذكر الأيام وتمداد الأمجاد، ويزداد غلواً وإغراقاً في وصف الحروب وأدواتها (٢).

وانصبّ فخر عديّ في اتجاهين، الأول يمجّد أصالة نسبه ومنزلة قومه وأجداده، والثاني يوضّح حسن صنيعه وتجلّده في النوازل وصبره على المكاره، ففي فخره القبلي تغنّى بعراقة محتده ومكانة قومه العالية، وأخلاقهم الكريمة وأعمالهم الكبيرة، وفاخر النزارية بيمانيته (٣)، وبين رسوخ جذور قبيلته في قحطان، وتحدث عن أعمالها في الجاهلية، فذكر حروبها مع أعدائها مشيداً بقوة بأسها وصلابتها في تلك الحروب(٤)، وكان من الطبيعي أن تظهر هذه النزعة القبلية في شعره لأنه نشأ في بيئة اشتد فيها الصراع والتنافس والتفاخر بين القبائل القيسية واليمانية، وظهرت هذه النزعة عند غيره من شعراء عصره، فالأخطل مثلاً حاول في فخره إظهار ما لبني تغلب من أيادٍ بيض على بني أمية، واصطبغ فخره بالصبغة الجاهلية (٥)، وقيل في فخر الفرزدق: "ديوان الفرزدق في حقيقته يكاد يكون دفاعاً خالصاً عن قومه وتمجيداً غالياً، فهو أشبه ما يكون بخطبة أو خطب قيلت في مديحهم والفخر بهم فخراً لا تجفّ مادته في نفسه" (٦).

---

(١) د. إحسان النص: العصبية القبلية ص ٥٤٢.
(٢) مجموعة من الأدباء: الفخر والحماسة ص ٤٨.
(٣) الأغاني ٩: ٣١٤، الممتع في صناعة الشعر ص ١٦٨.
(٤) معجم البلدان: مادة الملا.
(٥) الفخر والحماسة ص ٤٥.
(٦) الفخر والحماسة ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث عدي عن نصرة قومه لبني أمية ، وما قاموا به من أعمال جليلة دفاعاً عن المسلمين والإسلام ، وما بذلوه من أجل جمع كلمة المسلمين تحت لواء بني أمية وأشاد بنصرتهم لعبد الملك بن مروان في معاركه مع الزبيرية (١) ، ونوّه بقتالهم لأعداء المسلمين ومنعهم للثغور الشامية ، يقول : (٢)

أبلغا قَوْمَنا جُذاماً ولَخْماً ... قَوْلَ مَنْ عزّهُمْ إليهِ حبيبُ
كانَ آباؤكم إذا النّاسُ حَرْبٌ ... وهمُ الأكْثَرونَ كانَ الحُروبُ
مَنَعوا الثَّغْرَةَ التي بينَ حِمْص ... والكَهاتينِ لَيْسَ فيها عَريبُ

وأشاد بفصاحتهم وفصاحة خطبائهم فقال (٣) :

إذا خَطيبٌ قَضى مِنّا مَقالَتَهُ ... ثَنّى بأُخْرى خَطيبٌ فاضِلٌ أَرِبُ

ففخره القبلي اعتمد على ماضي قومه المجيد وأصلهم العريق ، وبلائهم في حروبهم مع الروم وحمايتهم للثغور الشامية .

وأما فخره الشخصي فقد انصبّ على التغنّي بخصاله الحميدة وحسن بيئته التي ترعرع فيها ، يقول : (٤)

وُلِدْتُ بِرابِيَةٍ رَأْسُها ... على كُلِّ رابِيَةٍ نَيِّفُ

وتحدّث عن عزّة نفسه ، ومقدرته على تحمّل النكبات والمصائب التي لا تزيده إلّا قوة وصلابة ، وتعظّم شخصه ، وترفع شأنه (٥) ، وهو رجل مؤمن بقضاء الله وقدره ،

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٣٤٢ ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ، تاريخ الأمم والملوك ٦ : ١٠٥ ، مروج الذهب ٣ : ١٠٩ ، الأغاني ٩ : ٢٩٨ ، ١٩ : ٦٢ ، تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ ، نهاية الأرب ٤ : ٢٠٤ .
(٢) معجم البلدان : مادة كهاتان .
(٣) تاريخ دمشق : مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٢٥٢ .
(٤) أساس البلاغة : مادة نوف ، الحريري : درة الغواص في أوهام الخواص ص ١٧٢ ، لسان العرب : مادة نوف .
(٥) أنظر : حماسة البحتري ص ١٩٣ ، ص ١٩٥ ، الحماسة البصرية : ٢ : ٤٥ ، معجم البلدان : مادة مقد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يخاف مما يخبئه القدر له ،يقـول : (١)

والمَرْءُ لَيْسَ وإنْ طالَتْ مَعيشَتُـهُ ... يَرى الّذى هوَ لاقٍ قَبْلَ أنْ يَقَعا

وتغنى بأخلاقه الكريمه وتسامحه ،وسعة حلمه ،وعلوّ مكانته ، فقـال : (٢)

إنّي إذا ما لَمْ تَصِلْني خُلَّـتي ... وَتباعَدَتْ عَنّي اغْتَفَرْتُ بِعادَهـا

وأشاد بقوة بأسه وشجاعته في خوضه للحروب ،وافتخر بحياته الخاصة إذ عاش حيـاة مترفة ،تخللتها بعض المحن والمنغصات ،يقـول :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ المَعيشَةِ لَـذَّةً ... وَلقيتُ منْ شَظَفِ الأُمورِ شَدادَها

ويقـول : (٣)

وأُصاحِبُ الجَيْشَ العَرَمْرَمَ فارِسـاً ... في الخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّها وطِرادَها

فالحروب والمعارك لا تخيفه ،لانّه فارس مقدام ،قوى شجاع. وأشاد بكرمه وشهرة جـوده وبذله ،فقـال : (٤)

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعيشَتي بِتَكَـرُّمٍ ... وَأَتَيْتُ منْ سَعَةِ النَّعيمِ سَدادَهـا

هـذه هي الخصال التي افتخر بها عدي في شعره ،وهي تدور حول الأخـلاق الحميدة والعادات الحسنة التي افتخر بها الشعراء العرب في شتى عصورهم ، وقـد لاحظنا أن شعره في الفخر قليل، وأبياته جاءت منتشرة في تضاعيف قصائده ومقطعاته

---

(١) مجموعة المعاني ص ١٤٣ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٨٨ .
(٣) عيون الأخبار ٢ : ١٨٢ ،العقد الفريد ٧ : ٥٧ ، الصفاني : العباب الزاخر: حرف الفاء ص ٣٢١ ، لسان العرب : مادة شظف .
(٤) الطرائف الأدبية ص ٨٩ .
(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً : المواعظ والحكم

تناثرت في ثنايا شعر عدى أبيات تحمل ألوانا من المواعظ والحكم ،تعبر في مجموعها عن أحاسيسه وتجاربه الخاصة ، وهذه الأبيات تدلّ دلالة واضحة على حنكته وصدق نظره ،وعمق تأثره بتلك التجارب ،وما ورد من شعره في المواعظ والحكم يتميز بما تميّز به الشعر العربي الذي يعرض للموضوع نفسه عرضاً عاماً ،فنجد الوضوح في المعنى ،والإيجاز في اللفظ،والاعتماد على التشبيه والتمثيل .

تأمل عديّ الموت والفناء ،وهو ظاهرة كبيرة في الشعر العربي ،احتلت مكانة بارزة فيه ،فوجد أن موت الإنسان وفناءه يشبه فناء تلك الديار التي غيّرها الدهر ،وقضى على الحياة فيها ، فتحوّلت إلى رسوم دارسة ،وآثار بالية ،يقول : (١)

لَوْلا التَّجَلُّدُ والتَّعَزّي أنَّـــهُ ... لا قَوْمَ إلّا عَقْرُهُمْ لِفَنـــــاءِ

نادَيْتُ أَصْحابي الّذينَ تَوَجَّهوا ... وَدَعَوْتُ أُخْرَىٰ لا يُجيبُ نِدائي

وظاهرة الموت تُفضي إلى ظاهرة القضاء والقدر ا لتي تُميّز حقيقة تقلبات الدهر، ونظرة الشعراء إلى هذه الحقيقة تكاد تكون متّفقة من ناحية تدخّل القدر في تشتيت الناس ،وإيقاع المصائب والنكبات بالإنسان مهما يحاذر أو يحاول مجابهة هذه الأخطار، لأنها واقعة لا محالة ،وهذا ما يؤكده عدي في قوله : (٢)

والدَّهْرُ يَفْرُقُ بَيْنَ كُلِّ جَماعَـــةٍ ... وَيَلَفُّ بَيْنَ تَقارُبٍ وتَنـــــاءِ

والزمن عامل رئيسي في تأكيد ظاهرتي الموت والقضاء والقدر، ومهما يطـــل عمر الإنسان ، فإن مصيره الموت والفناء ،وهذه نهاية كل شيء في الحياة ،يقول : (٣)

فَكَمْ تَرى مِنْ قَوِيٍّ فَكَّ قُوَّتَـــهُ ... طولُ الزَّمانِ وَسَيْفاً صارِماً نَحَلا

---

(١) معجم البلدان : مادة غمر ،المنازل والديار ١ : ٣٨ .
(٢) الحاتمي :حلية المحاضرة ٢ : ٢٣٢ ،لسان العرب:مادة فرق (تباعد) .
(٣) الطرائف الأدبية ص ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنَّ ابْنَ آدَمَ يَرْجُو ما وَراءَ غَدٍ ... ودونَ ذلِكَ غِيلٌ يَعْتَقي الأُسُلا
لَوْ كانَ يُعْتِقُ حَيّاً مِنْ مَنِيَّتِهِ ... تَحَرُّزٌ وحذارٌ أَحْرَزَ الوَعِلا

وعدي شاعر مؤمن ،يدرك أن الموت والفناء في هذه الدنيا حقيقة ينصّ عليها الدين ،وهذا ما يفسّر فناء الامم ،فالإنسان مهما يلاق من رغد العيش وطيب الحياة فإنه سيلحق بالأمم البائدة ،والغيب لا يعلمه إلّا الله تعالى ، فالإنسان لا علم له بما يخبئه القدر له ،يقول : (١)

والمرءُ لَيْسَ وإِنْ طالَتْ مَعيشَتُهُ ... يَرى الَّذي هُوَ لاقٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعا

فنظرته إلى الغيب وعجز المرء عن معرفته ، شبيهة بنظرة زهير بن أبي سلمى في قوله :(٢)

وَأَعْلَمُ ما في اليَوْمِ والأَمْسِ قَبْلَهُ ... ولكِنَّني عَنْ عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِ

وتتّضح نظرته إلى النّاس في اعتقاده بعدم تشابه أخلاقهم وأعمالهم وإن تشابهت رسومهم ،فالتفاوت بينهم حقيقة ثابتة ،يقول :(٣)

أَخْبِرِ النَّفْسَ إِنَّما النّاسُ كالعِيدانِ مِنْ بَيْنِ نابِتٍ وَهَشيمِ

ويقول : (٤)

والقَوْمُ أَشْباهٌ وَبَيْنَ حُلومِهِمْ ... بَوْنٌ كَذاكَ تَفاضُلُ الأَشْياءِ
كالبَرْقِ مِنْهُ وابِلٌ مُتَتابِعٌ ... جودٌ وآخَرُ ما يَفِضُّ بِماءِ
والاصْلُ يَنْبُتُ فَرْعُهُ مُتَأَثِّلاً ... والكَفُّ لَيْسَ بَنانُها بِسَواءِ
بَلْ ما رَأَيْتُ جِبالَ أَرْضٍ تَسْتَوي ... فيما غَشيتُ ولا نُجومَ سَماءِ

---

(١) حماسة البحتري ص ٢٣٥ ، مجموعة المعاني ص ١٤٣ .
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٨٦ .
(٣) معجم البلدان : مادة هزيم .
(٤) انظر: طبقات فحول الشعراء ص ٥٥١ ،البيان والتبيين ص ٣٣٤ ،الشعر والشعراء ص ٤١٦ ، عيون الأخبار ١ : ٢٣٣ ،ربيع الأبرار ٣ : ٤٨١ ،معجم البلدان : مادة الجدّ ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٣٤٠، نهاية الأرب ٣ : ٥٧ ،أنوار الربيع ٢ : ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذه هي نظرة عديّ في الحياة والإنسان ، وهي نظرة توحي بأنها نتـــاج تجاربه ومشاهداته ،وتدل على ما يتمتع به من ذكاء وفطنة ، وقد جاءت في أسـلوب واضـح سهل بعيد عن الغريب والتكلف ،واتّضح فيها أثر السن وخبرة الأيام الـــتي عاشـــها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنيـــة القصيـــــدة

نستطيع من خلال دراستنا لشعر عدي أن نقول إنه كان يحاكي القصيـــــدة الجاهلية " فقد كان الشعر الجاهلي هو التراث الأوحد للشعراء في العصر الأمـــوي ، منه يتعلمون وعليه يتخرجون " (١) . فلا عجب أن يتأثر عدي بالشعر الجاهلـــي الذي " سيطرت تقاليده على الشعر العربي فيما تلا الجاهلية من عصور " (٢) . وعديّ عارف بالشعر الجاهلي ، فقد اطّلع عليه ودرسه من مختلف جوانبه ، وأفاد منه ، فجـــاءت قصائده مشابهة إلى حدّ بعيد للقصائد الجاهلية ، من حيث البناء والموضوعات والألفاظ ، وهي قصائد كانت " تسير على نظام معين ونسق موروث سنّه القدماء منذ عهد متقـــدّم في الجاهلية ، وسار على نهجهم كثير من شعراء العصر الأموي والعباسي علـــــى تفاوت في مقدار التبعية والالتزام " (٣) .

وعدي واحد من شعراء العصر الأموي الذين " بنوا كثيراً من قصائدهم علـــى غرار القصيدة الجاهلية الطويلة في نمطها المعروف من تسيب ووقوف على الأطلال ووصـــف للمطية والرحلة ، وانتقال إلى المديح أو غيره من الأغـــراض " (٤) .

ويتّضح أسلوب عديّ في بناء قصيدته بدراسة مجموعة من عناصر البناء الفـــنّي للقصيدة وهي مقدّمتها وحسن التخلص والخاتمة وطول القصيدة ووحدتها .

لقد سار عديّ في بناء قصيدته على الطريقة التقليدية لبناء القصيدة العربيـــة فافتتح معظم قصائده بالمقدمة الطللية ، ووقف على الديار الدارسة ، وخاطبها ، وتأملها باكياً شاكياً ، فهي مستودع ذكرياته ، ومناجاته لها وتحديده لمواقعها ووصفه لآثارهـــا

---

(١) د . عبدالقادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٣ .
(٢) في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٢ .
(٣) الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ١٢٥ .
(٤) في الشعر الإسلامي والأموي ص ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصويره لما كان فيها وما بقي منها ،له دلالة نفسية ،فهو يعبّر عن عواطفه وإحساساته الكامنة في نفسه ،التي تثور عندما يمرّ بتلك الديار، ونلاحظ أنه تأنّى في نسج تلك المقدمات ، ورسم مشاهد مكتملة لها ، وارتبط بعضها بقومه الذين أحبهم وافتخر بهم (١) ، وخلا معظمها من العنصر الحيواني الذي استعان به الشعراء الجاهليون في مقدماتهم ،ولم يتحدث عن العنصر النباتي الذى يغطي الأطلال في الشعر الجاهلي ، إلّا أنه حافظ على معظم عناصرها الأساسية ، كتحديد الموقع وتهييجها لاشواقه ،وسؤاله إيّاها واستعجامها عليه ،وتفحّصه لها ومعرفتها بعد جهد ، وتشبيه آثارها برسم الكتاب ،ووصف الأحجار والنؤي وفعل الرياح والتراب الذى علاها ، وغيرها من العناصر التي تحدثنا عنها في دراستنا لموضوعات شعره (٢) .

واقترن ذكر الديار في بعض مقدماته بالمرأة فأخذ في الحديث عنها ، واصفاً جمالها وظعنها ورحلتها ، ومسايرته لها في تلك الرحلة .

ومّما يتصل بالحديث عن مقدمة القصيدة ، الحديث عن مطلعها ،فالاهتمام بمطلع أي عمل أدبي من الأمور التي حظيت بعناية النقاد القدماء (٣) .

وللمطلع أهمية كبيرة لأنه أول ما يقرع السمع ،وبه يستدل على ما عند الشاعر من أول وهلة ،فإذا كان جيّداً تشوّق السامع لما بعده من أبيات،وإذا كان المطلع رديئاً فإنه ينفر السامع ويجعله يعرض عن بقية الأبيات ، ويرى ابن رشيق أن المطلع هو مفتاح القصيدة (٤) . وطالب حازم القرطاجني بأن يكون المفتتح مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته ،فإذا كان مقصده الفخر، كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسيب،كان

---

(١) الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه ص ١٣٤ .
(٢) أنظر: الفصل الثالث : وصف الطلل .
(٣) بناء القصيدة العربية ص ٢٦٧ .
(٤) العمدة ١ : ٢١٧ ،أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٤٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقّة وعذوبة ،وكذلك سائر المقاصد (١).

واشترط النقّاد في المطالع الجيدة الأسلوب الواضح والمعنى الظاهر ،واستخدام الألفاظ المناسبة ،والترابط في المعنى بين شطري المطلع ،ومناسبة المطلع لغرض القصيدة وموضوعها ، وهو ما يسمى : " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " (٢).

ومن شروطهم أيضا التصريع لأنه يضفي جمالاً على موسيقى الشعر (٣).

وأستطيع أن أقول إن عدياً قد وفّق توفيقاً كبيراً في اختيار مطالع قصائده ،من حيث استخدامه للألفاظ المناسبة والأسلوب الواضح والمعاني الرشيقة ،فمن مطالعه الجميلة التي وفّق في اختيارها وجاءت مناسبة لغرض قصيدته وموضوعها قوله : (٤)

طارَ الكَرى وألَمَّ الهَمُّ فاكْتَئَما ... وحيلَ بَيْني وَبَيْنَ النَّوْمِ فامْتَنَعَا

فمنذ الجملة الأولى " طار الكرى " يدرك السامع أن هناك مشكلة تؤرق الشاعر وتقض مضجعه ، ثمّ يتدرج في عرض مشكلته التي تتمثّل في تقدمه في السن وحلول الشيب محل شبابه ، ويتحدث عمّا ألمّ به من نكبات ،وجميل صبره عليها وتحمّله لها ، وينتقل بعد ذلك إلى مدح الوليد بن عبد الملك ،بأسلوب رشيق ،مثنياً عليه ،ومؤيداً له ، ومعتزاً به .

ومن مطالعه الجميلة التي وفّق في اختيارها ،وجاءت مناسبة لأغراض قصائده قوله : (٥)

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها ... مِنْ بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أبْلادَها

---

(١) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ص ٣١٠.
(٢) د. يوسف بكار: بناء القصيدة العربية ص ٢٦٩.
(٣) أنظر: العمدة ١ : ٢١٧ ،قدامة بن جعفر: نقد الشعر ص ٥١.
(٤) الأغاني ١ : ٢٨١ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤.
(٥) الأغاني ١ : ٢٨١ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقولـــه : (١)

لِمَن المنازِلُ أقْفرَتْ بِغَبـــاءِ لَوْ شِئْتُ هَيَّجتِ الغَداةَ بُكائي

وقولـــه : (٢)

أتَعْرِفُ الدَّارَ أمْ لا تَعْرِفُ الطَّلَلا أجَلْ فَهَيَّجتِ الأحْزانَ والوَجَـــلا

وقولـــه : (٣)

أَلِمِمْ عَلى طَلَلٍ عَفا مُتَقَـــادِمِ بَيْنَ الرُّكَيْكِ وَبَيْنَ غَيْبِ النَّاعِـــمِ

وأستطيع القول إنه وفّق في اختيار معظم مطالع قصائده ، إذ أضاف إلى جمـــال المعاني ووضوحها جمالاً في الصياغة وجودة في السبك ،وزيّنها بما أودعه فيها مـــن محسّنات لفظية كالجناس والطبـــاق .

أما التصريع الذى اشترطه بعض النقاد في مطالع القصائد ، فلا يكاد مطلع مـــن مطالع قصائد عدي يخلو منه ، وكأنه كان حريصاً على التصريع ،لانه يضفي جمالاً وعذوبـــة على موسيقى الشعر ،ويرى قدامة بن جعفر أن الفحول والمجيدين من الشعراء يأتـــون بالتصريع في قصائدهم ،وربما كانوا يصرعون أبياتاً أخرى في القصيدة غير البيت الأول ،وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره (٤) ، ومثال ذلك في شعر عديّ قوله : (٥)

بانَتْ سُعادُ وأخْلَفَتْ ميعادَهـــا وتباعدَتْ عَنّا لِتَمْنَعَ زادَهـــا

واعتبر النقاد حسن التخلص شرطاً أساسياً في القصيدة الجيدة ، وكانوا يـــرون أن الشاعر المبدع هو الذي يحسن الانتقال من معنى إلى معنى ومن موضوع إلى موضـــوع في القصيدة الواحدة ، دون أن يشعر السامع بذلك الانتقال ،بسبب شدة الإلتئـــام

---

(١) معجم البلدان ،مادة غبر،المنازل والديار ١ : ٣٨ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٨١ .
(٣) نهاية الأرب ٤ : ٢٤٠ ،شرح شواهد المغني ١ : ٤٩٢ ،شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .
(٤) نقد الشعر ص ٥١ .
(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والانسجام والمازجة بين أجزاء من القصيدة. فحسن التخلص من الأمور المحببة في القصيدة ،والدالة على قدرة الشاعر وبراعته (١) وحذقه وقوة تصرّفه وطول باعه (٢).

وقد أحسن عدي وأجاد في انتقالاته من موضوع إلى موضوع في قصائده ،فهو من الشعراء المجيدين في التخلص من المقدمة إلى الغرض الأساسي في القصيدة، ولا يتعثر في انتقاله من غرض إلى غرض ،ولا يقف عند غرض وكأنه انتهى منه ،ثمّ يبدأ فجأة بالغرض التالي ،بل ينتقل انتقالاً طبيعياً سريعاً ،حتى يكاد لا يشعر السامع بذلك الانتقال، فلنستمع إلى حسن تخلّصه من مقدمة قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك (٣) إلى أجزائها المختلفة ،فإنه افتتح تلك القصيدة بالمقدمة الطللية وانتقل بعد ذلك إلى الغزل فقال :

وَلُرُبَّ واضِحَةِ الجَبينِ فريدَةٍ ... بَيْضاءَ قَدْ ضَرَبَتْ بِها أَوْتادَها
تَصْطادُ بَهْجَتُها المُعَلَّلَ بالصِّبا ... عَرَضاً فَتُقْصِدُهُ وَلَنْ يَصْطادَها

وتخلص من الغزل إلى وصف الظبية فقال :

كالظَّبْيَةِ البِكْرِ الفَريدَةِ تَرْتَعي ... مِنْ أَرْضِها قُفّاتُها وَعِهادُها

وتخلّص من وصف الظبية إلى الفخر فقال :

بانَتْ سُعادُ وَأَخْلَفَتْ ميعادَها ... وَتَباعَدَتْ عَنّي لِتَمْنَعَ زادَها
إِنّي إِذا لَمْ تَصِلْني خُلَّتي ... وَتَباعَدَتْ عَنّي اغْتَفَرْتُ بِعادَها

ثم تخلّص إلى مدح الوليد بن عبد الملك ،وهو الغرض الأساسي من القصيدة فقال :

صَلّى الإِلهُ على امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وِزادَها

وهنا تتجلّى مقدرة عدي وبراعته في الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة دون أن يشعر السامع بانقطاع الحديث .

---

(١) العمدة ١ : ٢٣٤ .
(٢) ابن الأثير ضياء الدين : الجامع الكبير ص ١٨١ .
(٣) الأغاني ١ : ٢٨١ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤ ،الطرائف الأدبية ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبدع عديّ كذلك في تخلصه في عينيته التي مدح بها الوليد أيضا (١)، فبعد أن قدم لقصيدته بمقدمة الشيب انتقل إلى الغزل بصورة جميلة حيث يقول :

فإنْ تَكُنْ مَيْعَةٌ منْ باطِلٍ ذَهَبَتْ ... وَأَعْقَبَ اللّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الوَرَعا
فَقَدْ أَبيتُ أُراعي الخُودَ راقِدَةً ... على الوسائِدِ مَسْروراً بِها وَلَعا

وانتقل إلى الفخر، ثم انتقل إلى الغرض الرئيسي وهو المديح بقوله :

صَلّى الّذي الصَّلَواتُ الطَّيِّباتُ لَهُ ... والمُؤْمِنونَ إذا ما جَمَّعوا الجُمَعا
عَلى الّذي سَبَقَ الأَقْوامَ ضاحِيَةً ... بالأَجْرِ والحَمْدِ حتّى صاحَباهُ معا

وقد استخدم في بعض قصائده الأسلوب التقليدي في التخلص متبعاً نهج الجاهليين الذين كانوا يستخدمون بعض العبارات في الانتقال من غرض إلى غرض، خاصة بعد فراقهم من وصف الصحراء وانتقالهم إلى وصف الناقة، مثل قولهم (عدّ عن ذا) و (دع ذا) و (صرم الهم) وغيرها (٢).

يقول عديّ متبعا هذا الأسلوب في تخلّصه من وصف الخمر إلى وصف البرق :(٣)

فَذَرْ ذا ولكنْ هَلْ ترى ضوءَ بارِقٍ ... وميضاً تَرى منْ على بُعْدٍ لَمَعا

ويقول منتقلاً من وصف الظعن إلى وصف الناقة : (٤)

أَفَلا تَناساها بِذاتِ بِرايَةٍ ... عَنْسٍ تَجِلُّ إذا الشِّفارُ بَراها

ويقول في موضع آخر : (٥)

فَصَرِّمِ الهَمَّ إنْ وَلّى بِناجِيَةٍ ... عَيْرانَةٍ لا تَشَكّى الأَصْرَ والعَمَلا

ونلاحظ أن استخدام عديّ لأسلوب التخلص التقليدي جاء في انتقالاته إلى وصف حيوان الصحراء أو وصف مظاهر الطبيعة.

---

(١) الأغاني ١ : ٢٨١، تاريخ دمشق، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨، نهاية الأرب ٤ : ٢٥٤.
(٢) بناء القصيدة العربية، ص ٢٩٤.
(٣) معجم البلدان، مادة أرانب.
(٤) الطرائف الأدبية ص ٩٣.
(٥) الطرائف الأدبية ص ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن اهتمام عدي بخاتمة القصيدة أقل من اهتمامه بمطلعها ، وهو يتفق مع النقاد العرب الذين أولوا خاتمة القصيدة عناية كبيرة ،ويرون أنها يجب أن تكون متصلة اتصالا وثيقا بموضوع القصيدة ، لأنها في عرفهم قاعدة القصيدة (١) ، ولأنها آخر ما يبقى في الأسماع ، فسبيلها أن تكون محكمة ،وأن تكون قفلاً كما كان المطلع مفتاحاً . وربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال ،فلذلك اشترطوا أن يكون اللفظ فيها مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً ،وأن تكون أجود بيت في القصيدة (٢) ، وهذه بعض الأمثلة على حسن الخاتمة عنده :

يقول مختتماً مدحه للوليد بن عبد الملك بعد أن عدّد صفاته وأثنى عليه : (٣)

وإذا عَدَتْ خَيْلٌ تُبادِرُ غايَةً ... فالسّابِقُ الجالي يقودُ جِيادَها

ويقول في ختام قصيدة أخرى : (٤)

لا يَمْنَعُ النّاسَ ما أعْطى الّذينَ هُمُ ... لَهُ عِبادٌ ولا يُعْطَوْنَ ما مَنَعا

ويقول في ثالثة : (٥)

وإذا وَدِدْتَ فإنّ وُدّكَ نافِعٌ ... وَمَنِ انْتَحَطْتَ فَلَيْسَ مِنْكَ بِسالِمِ

وفي ختام مدحه لعمر بن الوليد بن عبد الملك يقول : (٦)

والمَرْءُ يورِثُ مَجْدَهُ أبْناؤُهُ ... ويموتُ آخَرُ وهوَ في الأحْياءِ

أما طول قصيدته ووحدتها ،فيدل ما بين أيدينا من شعره على أن قصائده جاءت متوسطة الطول ، إذ بلغ تعداد أبيات أطول قصيدة له وصلت إلينا ثمانية وأربعين بيتاً ، ووصل بعضها إلى اثنين وأربعين بيتاً ، وقسم منها يتراوح بين عشرة أبيات وثلاثين

---

(١) بناء القصيدة العربية ص ٣٠١ .
(٢) العمدة ١ : ٢٣٩ .
(٣) تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٩ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٧ .
(٤) الأغاني ١ : ٢٨١ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الاردنية ١١ : ٨ ،نهاية الأرب ٤ : ٢٥٧ .
(٥) شرح شواهد مغني اللبيب ١ : ٤٩٢ ،شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٩٧ .
(٦) الشعر والشعراء ص ٤١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيتاً ، إضافة إلى مجموعة من المقطعات التي تتراوح بين البيت الواحد والتسعة الأبيات .

وعلى الرغم من اهتمام النقاد العرب بوحدة البيت في القصيدة العربية ، إلاّ أنهم لم يهملوا وحدة القصيدة ، ووجوب ترابط أجزائها . يقول ابن طباطبا : " وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه " (١) .

ويقول : " وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ، ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قُدّم بيت على بيت دخله الخلل " (٢) .

ويشبه الحاتمي القصيدة في وحدتها وتماسكها بجسم الإنسان في اتصال أعضائه بعضها ببعض (٣) . ومن هنا تتضح لنا ضرورة وجود الوحدة والتماسك بين أبيات القصيدة ومعانيها وأجزائها ، حتى تبدو عملاً فنياً متكاملاً مترابطاً ، وإذا نظرنا في قصائد عدي المختلفة نجد أن الوحدة سمة من سماتها ، فهي مترابطة الأجزاء ، متحدة المعاني ، مكتملة البناء ، على الرغم من احتوائها أكثر من فكرة وعاطفة ، ومثال ذلك قصيدته الدالية " عرف الديار توهّما فاعتادها " حيث انتظمت هذه القصيدة في عاطفة رئيسية واحدة هي مدح الخليفة الوليد بن عبد الملك ، والدعوة لمذهب بني أمية السياسي والدفاع عنه ، على الرغم من تناولها موضوعات مختلفة كوصف الطلل والغزل والفخر ، واستطاع عدي أن يؤلف بين هذه الموضوعات المختلفة في عمل فنّي متكامل .

---

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر ص ١٢٤ .
(٢) عيار الشعر ص ١٢٥ .
(٣) العمدة ٢ : ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما في قصائده متوسطة الطول ومقطوعاته ،فقد طرق موضوعاً واحداً في الغالب ،وتحدث عن شيء معين ، محاولاً إيصال ما يريد إلى سامعيه دون استطراد أو إطالة بأسلوب واضح بيّن . وهذا ظاهر في مدائحه التي أنشأها في عمر بن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ووصف الخيل والفخر والحماسة ،إذ كان يطرق موضوعه مباشرة دون مقدمات .

ونستطيع القول إن عدياً لم يجد أمامه سوى النماذج الشعرية الجاهلية الموروثة ،فأكبّ على درسها ،واستوعبها من مختلف جوانبها ،فأخذ من عناصرها ما وجده مناسباً ، ونسج قصائده على غرارها ، وقد فتح الدين الإسلامي أمامه آفاقا كثيرة لم تكن مفتوحة أمام شعراء الجاهلية ،فمزج بين ما استفاده من عناصر جاهلية وعناصر إسلامية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغـــــــة :

جاء شعر عديّ بلغة سليمة فيها قوة وجزالة ، وعبارة متينة محكمة الصنع ، وتباينت ألفاظه بين الوضوح والغرابة ، وتراوحت معانيه بين السهولة والتعقيد حسب قـــرب الموضوع الذى يطرقه أو بعده عن حياة البادية ، فاختلاف الموضوعات المتناولة لـــه أثر واضح في الألفاظ ، " فالألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهـا موضوع يحسن استعمالها فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفـــي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الأشـواق وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلـك " (١) .

فالألفاظ مرتبطة بموضوعات الشعر ، ومختلفة باختلافها ، فللمديح ألفاظ جزلـــة شديدة التأثير ، يقول ابن رشيق في حديثه عن قصيدة المديح : " وسبيل الشاعـــر إذا مدح ملكاً أن يسلك الإيضاح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيّة غير مبتذلـــة سوقية " (٢) . وللغزل ألفاظ تمتاز بالرقة واللين والسهولة في غير ابتذال ، وللوصـــف ألفاظ تمتاز بالقوة والجزالة ، إلى غير ذلك من الموضوعـات .

ولا يتوقف الاختلاف في الألفاظ على الشاعر نفسه أو على الموضوعات الـــتي يتناولها فقط ، بل إن العصر الذى يعيش فيه الشاعر لا بدّ أن يترك آثاراً واضحة فـــي أسلوبه وألفاظه ، ولعديّ ألفاظه الخاصة التي شكّل منها أنماطا تعبيرية جعلته يختلف فيها عن غيره ، والدارس لشعره يلحظ أن قصائده ومقطوعاته التي تتصل بالطبيعـــة كهائيته (٣) التي يتحدث فيها عن حيوان الصحراء أو بائيته (٤) ورائيته (٥) فـــي

---

(١) ابن الأثير ضياء الدين : المثل السائر ١ : ١٦٨ .
(٢) العمدة ٢ : ١٢٨ .
(٣) انظر : الطرائف الأدبية ص ٩٢ .
(٤) كتاب الخيل ص ١٤٤ .
(٥) كتاب الخيل ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخيل أو حديثه عن السحب والمطر والبرق وأوصافهما (١) في بعض مقطوعاته ، يلحظ أن الغرابة تطغى على ألفاظها ،والغموض يخيّم على بعض معانيها ،ويصعب تفسير كثير من تلك الألفاظ بدون الرجوع إلى معجمات اللغة ،وفي بعض الأحيان لا تعطي المعجمات اللغوية المعنى الدقيق الذى أراده الشاعر ، وإذا كانت الألفاظ التي تتصل بوصف حيوان الصحراء ومظاهر الطبيعة الأخرى سمة من سمات فن الوصف ، ولا بدّ للشاعر من استعمالها عند وصف الإبل والخيل وغيرها من تلك المظاهر (٢) ، فإنّ الألفاظ الغريبة التي نجدها في شعر عدي لم ترد عفو الخاطر ،بل اختارها اختياراً وهو كغيره من الشعراء الذين تعرضوا لتلك المظاهر بالوصف ، وجاءت أشعارهم فيها غريبة .

وعلى الرغم من قضاء عديّ شطراً كبيراً من حياته في كنف الوليد بن عبد الملك ، وحياة الترف التي كان يعيشها في قصور الأمويين ،إلّا أن قرب عهده من الحياة الجاهلية ورواج الألفاظ الغريبة في عصره الذي ازدهر فيه جمع اللغة وتدوينها ووضع قواعد نحوها واقبال العلماء على هذا النمط من المفردات (٣) ، كل هذه الأمور ساعدت على انتشار الألفاظ النادرة في شعره ،ومما يجدر ذكره أن لغة الوصف التي تتعلق بحيوان الصحراء ومظاهر البيئة المختلفة كانت تمتاز بالصعوبة والغرابة منذ العصر الجاهلي إلى أواخر العصر الأموي ، مما أدى إلى محافظة هذا الفن على مصطلحاته ومفرداته ، وأصبحت الغرابة سمة من سماته المميزة .

لقد عمد عديّ إلى اختيار بعض الألفاظ الضخمة ذات الجرس القوي ،والألفاظ النادرة الاستعمال ، مما حفز اللغويين إلى اختيار كثير من الشواهد اللغوية من شعره ، وأكثروا من الأخذ عنه ،وإذا عدنا إلى الشواهد التي أتوا بها وتداولوها في كتبهم ومعجماتهم ،يتضح لنا مدى إيثارهم لشعره واعتمادهم عليه ، إذ كانوا يقعون فيه

---

(١) أنظر: معجم البلدان ، مادة مزاهر ، الحثا ،عظام ، غريقة .
(٢) أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار ص ٥٤ .
(٣) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اللفظة النادرة ذات الجرس القوي مثل مجرنشما (١) ، واحزألّ صواهـا (٢) ، واتلأبّ (٣) ، وحرود (٤) ، ومصمعات (٥) ،وتجلجل (٦) ، وغيرها كثير، وقد أورد له ابن منظور على سبيل المثال خمساً وتسعين بيتاً من الشعر ،وزّعت على خمس وستين مادة (٧) .

وعديّ يعمد في غزله إلى اختيار الألفاظ الرقيقة المأنوسة ،التي تتصف بحلاوة المعنى والجرس ، فخلت أبياته الغزلية من الغريب ، واتّسمت بالوضوح والسهولة ،وقد تصل لغته في بعض الأحيان إلى السهولة الشديدة القريبة من اللهجة المحكية ،كمقطوعته في تهنئة عبد الملك بن مروان بزواج عبد العزيز بن الوليد من أم حكيم (٨) ، فألفاظه فيها تقترب من لغة الحياة اليومية ،ولكنه لم يهبط بها إلى مستوى العامية .

واتسمت لغته في المديح بالجزالة والرصانة ،فابتعد عن الألفاظ الغريبة المعقّدة ، وكانت معانيه مناسبة مستقيمة ،وهدت براعته في قدرته على اختيار الألفاظ المناسبة في عبارات سليمة مؤثرة ، فهو ينتقي اللفظة انتقاء ليعبّر بها عمّا يجول في صدره . وإذا استعرضنا داليته (٩) (عرف الديار توهما فاعتادها) في مديح الوليد بن عبد الملك على سبيل المثال ،وجدنا ألفاظها مألوفة مأنوسة ،إذ لا تصادفنا فيها لفظة غريبة حوشية ، وينطبق الحكم نفسه على بقية مدائحه (١٠) . كما كثرت الألفاظ

---

(١) مجرنشماً : مجتمعاً ، منقبضاً .
(٢) احزألّ صواها : ارتفعت الأحجار من السراب.
(٣) اتلأبّ : استقام وامتد .
(٤) حرود : أمعاء .
(٥) مصمعات : بعرات.
(٦) تجلجل : تقل .
(٧) د . ياسين الأيوبي : معجم شعراء لسان العرب ص ٢٧٩ .
(٨) عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ،الأغاني ١٦ : ٢٠٩ .
(٩) الطرائف الأدبية ص ٩٠ .
(١٠) أنظر: الشعر والشعراء ص ٤١٦ ،الأغاني ١ : ٢٨١ ،تاريخ دمشق ،مصورة الجامعة الأردنية ١١: ٨ ،نهاية الارب ٤ : ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدينية في مديحه كثرة واضحة ،وذلك ليعطي قيمة كبيرة لممدوحه ، وتبدو هذه الظاهرة بيّنة في ميميته التي مدح بها عمر بن عبد العزيز (١) ،حيث عدّد فيها خصاله الإسلامية الحميدة ، كما عدّد نعم الله التي أصبغها على المسلمين بتولّيه الخلافة ،وتكثر الألفاظ الدينية أيضا في مدائحه في الوليد بن عبد الملك وفي دفاعه عن الخلافة الأموية .

وعلى ذلك نستطيع أن نقسم شعر عدي إلى قسمين :

الأول : المألوف المأنوس الذي يجاري فيه روح عصره ، فلا تختلف ألفاظه عن ألفاظ معاصريه من الشعراء ،ويشمل المديح والفخر والغزل ، وهو واضح سهل يقل فيه الغريب ويمتاز بأسلوبه الشعري الرقيق ،وجزالة ألفاظه وقوة تعبيره وهو الأكثر الأعم في شعره .

والثاني : وهو يحفل بطائفة من الألفاظ الغريبة أو الشاذة أو المهجورة ،واستعماله لها يحمل طابع التقليد للجاهليين سواء من حيث المفردات وغرابتها وصعوبتها ووحشيتها ،أم من حيث الموضوعات ،فأبياته التي تتصل بوصف البيئة الصحراوية وحيواناتها ،لا يكاد بيت منها يخلو من الألفاظ الغريبة .

وتناثرت في شعره ألوان من البديع كالجناس والطباق والتقسيم ، وهي تدل على مهارته وحسن استخدامه لها ، وتضفي على شعره جمالاً وروعة ،وتعين في تزيين الصورة التي يريد أن ينقلها إلى السامع. إلّا أنه لم يكن شديد الحرص على استخدامها ، فلم يقصد إليها قصداً ، وإنما جاءت عفو الخاطر ،فاهتمامه كان منصبّا على معانيه وصوره الشعرية التي أبدع في نسجها إبداعا ظاهراً .

فمن الجناس قوله مجانساً بين " ثوى والثواء " ، وهو من جناس الاشتقاق :

لَوْ ثَوى لا يَرِيمُها أَلْفَ حَـوْلٍ ... لَمْ يَطُلْ عِنْدَها عَلَيْهِ الثَّواءُ (٢)

---

(١) لسان العرب: مادة عملس.

(٢) الشعر والشعراء ص ٤١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله مجانساً بين " المسامح وسماحة " (١) :

غَلَبَ المَسامِحَ الوليدُ سَماحَـــةً ... وكَفى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وسادَها

وجانس بين " غيثاً وأغاث " في قولـه : (٢)

نَزَلَ الوَليدُ بِها فكانَ لِأَهْلِهـــا ... غَيْثاً أَغاثَ أَنيسَها وبِلادَها

وجانس بين " راحت وراح " في قولـــه : (٣)

راحَتْ وراحَ مِنَ الغَلاةِ فأَصْبَحـــا ... بِمَجامِعِ التَّلعاتِ فَوْقَ الظُّلْظُلِ

وجانس بين " صلّى والصلوات وجمعوا والجمعا " في قولـه : (٤)

صَلّى الّذى الصَلَواتُ الطَّيِّباتُ لَهُ ... والمُؤْمِنونَ إذا ما جَمَّعوا الجُمَعا

وجانس بين " عوتب ويعتب " في قولـه : (٥)

إذا ما مُنافِقُ أَهْلِ العِـــــرا ... قِ عُوتِبَ ثَمَّتَ لَمْ يُعْتَـــــبِ

وجانس بين " قضى وقضاء " في قولـه : (٦)

وإذا قَضى فَصَلَ القَضاءَ فَلَمْ يُصِلْ ... قُرْبى عَلَيْهِ ولا مَلامَةَ لائِـــمِ

وجانس بين كلمتي " مسبوقاً وسباقاً " في قولـه (٧)

فما عَزَلوكَ مَسْبوقاً ولٰكِـــــنْ ... إلى الخَيْراتِ سَباقاً جَـــوادا

وقولـــه : (٨)

أَهَمٌّ سرى أَمْ غارَ لِلْغَيْثِ غائِـــرُ ... أَمِ انْتابَنا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ زائِرُ

والأمثلة على الجناس في شعره كثيـــرة .

---

(١) الطرائف الأدبية ص ٩٠ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٩٠ .
(٣) معجم ما استعجم ، مادة ضلضلة .
(٤) الأغاني ١ : ٢٨١ ، تاريخ دمشق ، مصورة الجامعة الأردنية ١١ : ٨ ، نهايـــة الأرب ٤ : ٢٥٤ .
(٥) أنساب الأشراف ٥ : ٣٤٢ ، الأغاني ٩ : ٢٩٥ .
(٦) شرح شواهد السفني ١ : ٤٩٢ .
(٧) الأغاني ٩ : ٣٠٧ .
(٨) معجم البلدان : مادة دلوك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدم ضرباً من الطباق في شعره ،فطابق بين أضاء وأقتم وأيمنه وأيسره في قوله : (١)

فَأَضاءَ أَيْمَنُهُ المَزاهِرَ كُلَّها ... وَأَقْتَمَ أَيْسَرُهُ أُثَيْدَةَ فالحَشا

وطابق بين تقارب وتناء في قوله : (٢)

والدَّهْرُ يَفْرُقُ بَيْنَ كُلِّ جَماعَةٍ ... وَيَلُفُّ بَيْنَ تَقارُبٍ وتَنـــاءِ

كما طابق بين القمر والشمس وغاب وطلع في قوله : (٣)

قَمَرُ السَّماءِ وَشَمْسُها اجْتَمَعا ... بالسَّعْدِ ما غابا وما طَلَعا

وطابق بين بؤس وأنعم في قوله : (٤)

فإنْ تَعْدُونّا الجاهِلِيَّةُ إِنَّنا ... لَنُحْدِثُ في الأَقْوامِ بُؤْساً وَأَنْعُما

وطابق بين جلّة بمعنى مسنة وبين فتاء جمع فتية في قوله :

يَحْسَبُ النّاظِرونَ ما لَمْ يُفَرّوا ... أَنَّها جِلَّةٌ وَهُنَّ فِتـــاءُ

وطابق بين غر وأشيب في قوله : (٥)

ظَلَلْتُ أُرِيها صاحِبَيَّ وَقَدْ أَرى ... بِها صاحِباً مِنْ بَيْنِ غِرٍّ وَأَشْيَبا

وفي شعره أمثلة وافرة من الطباق .

ومن التقسيم الذى ورد في شعره قوله : (٦)

قُضاعِيَّةُ العَيْنَيْنِ كِنْدِيَّةُ الحَشا ... خُزاعِيَّةُ الأَطْرافِ طائِيَّةُ الفَمِ

لَها حُكْمُ لُقْمانٍ وصورَةُ يوسُفٍ ... وَمَنْطِقُ داودٍ وعِفَّةُ مَرْيَمِ

---

(١) معجم البلدان : مادة مزاهر ،الحشا .
(٢) حلية المحاضرة ٢ : ٢٣٢ ،لسان العرب : مادة فرق (تباعد) .
(٣) عيون الأخبار ٣ : ٦٩ ، الأغاني ١٦ : ٢٠٩ .
(٤) معجم البلدان : مادة الملا .
(٥) معجم البلدان : مادة شابك .
(٦) ربيع الأبرار ٤ : ٢٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزاوج بين التقسيم والطباق في قوله : (١)

وَكُفُّكَ سَبْطَةٌ وَنَدَاكَ سَـــحٌّ ... وَأَنْتَ المَرْءُ تَفْعَلُ ما تَقُـــولُ

كما زاوج بين الجناس والطباق في قوله : (٢)

أَطْفَأْتَ ناراً لِلْحُروبِ وَأَوقَدْتْ ... نارٌ قَدَحْتَ بِراحَتَيْكَ زِنادَها

والأمثلة على ألوان البديع المنتشرة في ثنايا شعره كثيرة ، يستطيع من يستعرضهـــا أن يلمس تأنيه وتأنقه في استخدامها لإضفاء لون من النغم والموسيقى العذبة والجمال على شـــعره .

وأُخذت على شعره بعض المآخذ ، يرجع قسم منها إلى الخطأ في المعنى اللغوي ، أو عدم التوفيق في اختيار اللفظ المناسب ، فمما عابه الأصمعي عليه قولـه : (٣)

لَهُمْ رايَةٌ تهدي الجُموعَ كَأَنَّهـا ... إذا خَطَرَتْ في نَعْلَبِ الرُّمْحِ طائِرُ

وقـال : الراية لا تخطر ، وإنما الخطران للرمـح .

واعتبر الآمدي قوله :

وَكُفُّكَ سَبْطَةٌ وَنَدَاكَ سَـــحٌّ ... وَأَنْتَ المَرْءُ تَفْعَلُ ما تَقُـــولُ

من خطأ الشعر ، إذ جعل ربّه مرءًا (٤) .

---

(١) الموازنة ١ : ٤٧ .
(٢) الطرائف الأدبية ص ٩١ .
(٣) الموازنة ١ : ٤٧ ، الصناعتين ص ٩٠ .
(٤) الموازنة ١ : ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصـــورة الفنيـــــة :

لمدّي مقدرة فذّة على رسم الصورة الشعرية ،فقد تفنّن في عرضها ، وكان يجيّر فيها مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب ،بتأنٍ وروية ،ثمّ يدقق في أجزائها ويستقصي عناصرها . فجمع في صوره كل ما يمكن أن يجمع في الصورة الفنية المتقنة ، وهيّأ لهـــا عناصر الجمال اللازمة وأبدع في مزج ألوانها حتى خرجت على أكمل وجه وأتمـه .

وعلى الرغم من تنوع صوره الشعرية ،فان أهم مصدر لها هو الطبيعة التي تمثّل واقع بيئة الشام الجميلة التي عاش فيها وتنقل في ربوعها ،فاستمدّ منها عناصر صـــوره ، واعتمد في تشكيل صوره على التشبيه والاستعارة والكنايـة .

وشعره يقترب من طبيعة الشعر الجاهلي كلما رسم صورة من الصور التقليديـــة كحديثه عن الأطلال وحيوان الصحراء وغيرها مما يتصل بمظاهر الطبيعة . وهو يستعين في رسم تلك الصور بالعناصر القديمة ،ويعمد إلى التفصيل في الوصف والتنسيق فـــي العرض ،فإذا وقف يصف الناقة يرسم لها صورة كاملة واضحة المعالم متقنة الصنع ، ويتخـذ من التشبيه الاستطرادي وسيلة لذلك ، فلا يدع جزءاً من أجزائها ولا عضواً من أعضائهـا إلّا يضعه في مكانه المناسب ،ويوجه عنايته إلى وصفها وصفاً داخلياً ، ويضفي عليهـــا جواً من الحركة والحيويـــة (١) . وفي رسمه لصورة الحمار الوحشي وأتانه ،يظهـــر اضطراب الاتان وقلقها على ولدها ، ويبين فاجعتها عندما يتركها تعثر على أشلائـــه متناثرة فوق الرمال ،مستعينا بالصور الجاهلية ويبدع في تفجير مشاعر الأمومة والتعبيـــر عن حسرة الفقد والثكل التي أصابـت الاتان (٢) . وفي رسم صورة الفرس(٣) يستعين بما اكتسبه من الشعر الجاهلي ،ونلمس مقدرته الفذة على تشكيل صوره من خـــلال قراءتنا لمقطوعاته في الخيل ،إذ أبدع أبداعاً كبيراً في إضفاء الحركات النفسية الداخلية

---

(١) انظر الطرائف الادبية ص ٩٣ .
(٢) انظر الطرائف الادبية ص ٩٥ .
(٣) كتاب الخيل ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحركات الخارجية المليئة من الحيوية عليها ، ولا نشك في أن أسلوبه في رسم صوره هو الذي دعا النقاد إلى استحسانها والتنويه بها .

واعتمد في تشكيل كثير من صوره على التشبيه الذى يعتبر أسهل الوسائل التصويرية وأكثرها ملاءمة للبيئة المادية ، ليظهر العلاقة بين المشبه والمشبه به ، ويبين بعض الصفات المشتركة بينهما ، ونلاحظ أن صوره التي تقوم على التشبيه لا تسير على نمط واحد ، فالتنوع والتجديد سمة من سماتها ، وربما كانت إجادته في التشبيه وبراعته في نسجه من العوامل التي ساعدت على خلود شعره وذيوعه بين الناس. يقول ابن قتيبة : " ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنه يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه " (١) .

وعدي يحسن انتزاع التشبيه من بيئته المادية ، فإذا أراد أن يصور عظمة جيش عبد الملك بن مروان الذى جنده لمحاربة مصعب بن الزبير ، يشبه حركته وضجيجه بضجيج القطا المتوافر على أرض كثيرة الخير. يقول : (٢)

كَأَنَّ رُغَاهُم إذا ما غَدَوْا ضجيجُ قطا بَلَدٍ مُخْصِبِ

فصورة القطا التي شبه الجيش بها منتزعة من البيئة .

وإذا أراد أن يبين قوة فرسه ومتانته يشبهه بالحبل المفتول شديد القوة ، يقول : (٣)

أُمِرَّتْ حَوامِلُ أَوْصالِهِ كَما تُسْتَمَرُّ قوى القِنَّبِ

ويقول : (٤)

فهوَ طافٍ أقبُّ كالمُسَدِ الأمْلَسِ عاري الشوى مُمَرٌّ مُفارُ

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣٧ .
(٢) أنساب الاشراف ٥ : ٣٤٢ ، الاخبار الطوال ص ٣١١ ، تاريخ الامم والملوك ٦ : ١٥١ .
(٣) الخيل ص ١٤٤ .
(٤) كتاب الخيل ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصورة الحبل منتزعة من الواقع المادي المحسوس.

ويشبه أمعاء ناقته أيضا بالحبل المشدود في قوله : (١)

بُنِيَتْ على كَرْشٍ كأنَّ حُرُودَهـــا ... مُقَطٌ مطواةٌ أمرَّ قواهـــا

ويشبّه بطنها وجوفها ببئر واسعة يتردد الصدى في أنحائها (٢) :

في مُجْفِرٍ حابي الضُّلوعِ كأنَّـــهُ ... بئرٌ يجيبُ الناطِقينَ رَجاها

ويصور ظلمة ليله وطوله بقولـه : (٣)

وكأنَّ لَيْلي حينَ تَغْرُبُ شَمْسُـهُ ... بسوادِ آخرَ مثلِهِ مَوْصـولُ

أرعى النّجومَ إذا تغيَّبَ كَوْكَـبٌ ... أبصرتُ آخرَ كالسِّراجِ يجولُ

فهو يصوّر طول الليل ،وكأن الليالي متصلة عنده ، وما أن يغيب كوكب حتى يظهر كوكب آخر ،ويشبه النجوم في بريقها وضوئها بالسراج المضيء المضطرب .

وصورة أخرى منتزعة من البيئة يوردها عدي في شعره حيث يشبه الناس في اختلافهم عن بعض بالعيدان في قوله : (٤)

أخبرِ النَّفْسَ إنَّما النّاسُ كالعيدانِ منْ بينِ نابتٍ وَهَشـــيم .

وكثيراً ما يشبّه نفسه بشارب الخمر الذي أخذت منه كل مأخذ ،فتركته صريعـا . كقولـه : (٥)

فكأنّي منْ ذِكْرِكُمْ خالَطَتْنـي ... منْ فلسطينَ بنتُ كَرْمٍ عِقـارُ

وقوله : " أميدُ بها كأني شارِبٌ " وقوله : " كشاربِ الخَمْرِ لا تَشْفي لذاذَتُـه " ، وقوله : " كأني منْ هَواهُمْ شارِبٌ سَـدِمُ " .

---

(١) الطرائف الادبية ص ٩٢ .
(٢) الطرائف الادبية ص ٩٢ .
(٣) التيفاشي : سرور النفس ص ٢٨ ،سمط اللآلي ١ : ٣٠٩ ،نهاية الارب ١ : ١٣٩ .
(٤) معجم البلدان ،مادة هزيم .
(٥) معجم البلدان ،مادة فلسطين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تمضي تشابيه عدي قوية الإيحاء ، حسيّة الأُصول في أكثرها ، مستمدة من الطبيعة ،وهو يحاول تجسيم صوره ليقربها إلى خيال السامعين وتصورهم .

ولعديّ بعض الصور القائمة على الاستعارة ،وهو يكشف بذلك عن مدى قوة خياله ذلك لأنّ الاستعارة أمعن في الخيال من التشبيه ،وهي أول المجاز(١) ،وتتطلب عقلية ناضجة .

فمن استعاراته البارعة قوله : (٢)

كانَتْ رواحِلُ للقُدورِ فعرَّيَتْ ... مِنْهُنَّ واستَلَبَ الزّمانُ رمادَها

فشبّه الزمان بإنسان يستلب .

وقال مشبهاً البهجة بصائد يتربص بفريسته : (٣)

تَصْطادُ بَهْجَتُها المُعَلَّلَ بالصِّبا ... عَرَضاً فتَقْصِدُهُ وَلَنْ يَصْطادَها

وقال في الليل : (٤)

تَرَبَّصَ اللَّيْلُ حتّى قَلَّ سائِسُهُ ... على الزُّوَيْشِدِ أَوْ خَرْجائِهِ يَدِقُ

فالليل يتربص .

وقال : (٥)

فَكَمْ تَرى مِنْ قَوِيٍّ فَكَّ قُوَّتَهُ ... طولُ الزّمانِ وَسَيْفاً صارِماً نَحَلا

فالسيف يصيبه الهزال كما يصيب الكائنات الحية .

والأمثلة على الاستعارة في شعر عدي كثيرة .

---

(١) العمدة ١ : ٢٦٨ .
(٢) الطرائف الادبية ص ٨٧ .
(٣) الطرائف الادبية ص ٨٧ .
(٤) سمط اللآلي ١ : ٤٤٥ .
(٥) الطرائف الادبية ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الصور المجازية التي استخدمها في شعره الكناية ، وحسن التعبير بالكناية يدلّ على مقدرة بلاغية عالية لدى الشاعر وهي تحقق لوناً من ألوان الجمال .

فمن كناياته قوله : (١)

كَأَنَّ ثَنَايَاهَا بَنَاتُ سَحَابَةٍ ... سَقَاهُنَّ شُؤْبُوبٌ مِنَ اللَّيْلِ بَاكِرُ

وقوله : (٢)

مِنْ لَدُنْ أَنْ أَجَنَّنِي اللَّيْلُ حَتَّى ... فَضَحَ الصُّبْحُ وَاضِحَاتِ النُّجُومِ

كناية عن طلوع الفجر .

وقوله في الوليد بن عبد الملك : (٣)

أَطْفَأْتَ نَاراً لِلْحُرُوبِ وَأَوْقَدْتْ ... نَارٌ قَدَحْتَ بِرَاحَتَيْكَ زِنَادَهَا

وقوله : " بنت كرم " كناية عن الخمر .

ولعدي صور بادية الروعة بالغة الجمال ، أعجب النقاد بطائفة منها ، وأصدروا أحكامهم عليها ، مبينين المنزلة الشعرية التي يحتلها عدي بين شعراء عصره ، فمن الجمال والروعة بمكان تشبيهه قرن الغزال بقلم غمس في دواة حبر ، فأصاب بعض السداد منها ، يقول : (٤)

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فهو يذكر المشبه والمشبّه به وأداة التشبيه ، ولا يذكر وجه الشبه ليترك لخيال السامع حرية تصور هذا المنظر . وكان هذا التشبيه مدعاة لحسد جرير له في مجلس الوليد ابن عبد الملك .

---

(١) الدرة الفاخرة في الامثال السائرة ٢ : ٢٠٥ ، معجم البلدان ، مادة دلوك .
(٢) الرازي أبو حاتم : كتاب الزينة ٢ : ١٧٢ .
(٣) الطرائف الادبية ص ٨٨ .
(٤) الطرائف الادبية ص ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو الفرج : (١) " قال جرير : سمعت عديّ بن الرقاع ينشد الوليد ابن عبد الملك قصيدته التي أولها " عرف الديار توهماً فاعتادها " ،فحسدته على أبيات منها ،حتى أنشد في ظبية ونزال " ترجي أغن كأن إبرة روقه " ، فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأي شيء يشبهه ترى ؟ فلما قال " قلم أصاب من الدواة مدادها " رحمت نفسي منه وحالت الرحمة حسدا .

فعلى الرغم من أن جريراً كان من فحول شعراء العصر الأموي ،نراه ينفس على عديّ تشبيهه هذا لروعته وجماله ، وقد عدّه ابن المعتز من عجائب التشبيه أيضا (٢) .

وأعجب بجماله ابن عبد ربه (٣) والثعالبي (٤) وابن باقيا البغدادي (٥) ، وقال السيوطي عنه : (٦) " أحسن حين شبّه به قرن الريم ، وهو أمضى بيد الكاتب من السيف بيد الكمي " .

ونقله عديّ بصورة أخرى حين شبّه آذان الخيل وهي خارجة من المعركة بأطراف الأقلام ،يقول : (٧)

يَخْرُجْنَ مِنْ فُرُجاتِ النَّقْعِ دامِيَةً كَأَنَّ آذانَها أَطْرافُ أَقْلامِ

وتضافرت عناصر كثيرة في تشكيل صورة المرأة في شعره ، إذ استمد معظم تلك العناصر من التراث ،خصوصا عندما كان يتحدث عنها في مطالع قصائده ،ولكنه انتزع

---

(١) المبرد :الكامل في اللغة والادب ٢ : ٩٤ ،معجم الشعراء ص ٨٧ ،أسرار البلاغة ص ١٤٠ ،الجلبي شهاب الدين : حسن التوسل الى صناعة الترسل ص ٢٦٠ ، ابن باقيا :الجمان في تشبيهات القرآن ص ٢٣٩ ،انوار الربيع ٥ : ٢١٩ .
(٢) ابن المعتز: البديع ص ٧١ .
(٣) العقد الفريد ٧ : ٢٧٥ ، ٢ : ٢٧٥ .
(٤) الثعالبي : الاعجاز والايجاز ص ٥٢ .
(٥) الجمان في تشبيهات القرآن ص ٢٣٩ .
(٦) المزهر في علوم اللغة ٢ : ٣٥٢ .
(٧) العقد الفريد ١ : ١١١ ،نهاية الارب ١ : ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض صورها من البيئة المترفة التي عاش ، في ظل بني أمية ،كقوله : (١)

فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفَتاةِ وِسادَةً لي جاعِلاً يُسرى يَدَيَّ وِسادَها

ومن صوره الجميلة التي استحوذت على اهتمام النقاد وإعجابهم صورة أم القاسم التي شبّهها بجؤذر جاسم الذي أتعبه النعاس ،فذبلت عيناه ،وبقي بين النوم واليقظة ، وعلق النقاد على هذه الصورة تعليقات طريفة ،وأثنوا على عديّ لحسن تأنّقه في رسم صورة العيون الناعسة ،وعدّه جرير أنسب الشعراء لقوله هذا .

قال أبو الفرج : (٢) " قال نوح بن جرير لأبيه ،يا أبت من أنسب الشعراء ؟ قال له : أتعني ما قلت ؟ قال : إنّي لست أريد من شعرك ،إنّما أريد من شعر غيرك .قال: ابن الرقاع في قوله :

لَوْلا الحَياءُ وأنَّ رأسي قَدْ عَسا فيهِ المشيبُ لَزُرْتُ أمَّ القاسِمِ

الثلاثة الأبيات ، ثم قال لي : ما كان يبالي إن لم يقل بعدها شيئا " .

فعلى الرغم من حسد جرير له ،فإنه أصدر على شعره هذا الحكم ،وعدّه في مقدمة شعراء النسيب .

وقال الأصمعي في نعت هذه الأبيات : " ولا وصف أحد عيني امرأة إلّا احتاج إلى قول عدي بن الرقاع السابق " (٣) .

وذكر أبو الفرج أنه عندما عرض هذا الشعر على أبي عمرو قال : " أحسن والله ! فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني : " أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقضبان الدفلى تأخذه لكنت أشد له استحسانا .يعني إذا كان يغني على العود " (٤) .

---

(١) الطرائف الادبية ص ٨٩ .
(٢) الاغاني ٩ : ٣٠٧ .
(٣) المرزباني : نور القبس ص ١٤٨ .
(٤) الاغاني ٩ : ٣٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقل أبو الفرج هذه الرواية على لسان عمرو بن أبي عمرو فقال : (١) " كنت عند أبي ورجل يقرأ عليه شعر عديّ بن الرقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها " لولا الحياء " قال أبي : أحسن والله عدي بن الرقاع . قال : وعنده شيخ مدني جالس، فقال الشيخ : والله لئن كان عدى أحسن لما أساء أبو عباد . قال أبي : ومن هو أبو عباد ؟ قال : معبد ،والله لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشدّ واستحسانك له أكثر. فجعل أبي يضحك ".

وكان أبو عبيدة يستحسن بيت عدىّ " وسنان أقصده . . . " ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر (٢) . وعلق القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بقوله : (٣) وأما قول عدي : " وسنان أقصده النعاس فرنقت " فقد زاد به على كل من تقدم ،وسبق بفضله جميع من تأخر ،ولو قلت اقتطع هذا المعنى فصار له ،وخطر على الشعراء ادعاء الشرك فيه ما بعدت عن الحق ولا جانبت الصدق .

واستحسن أبو هلال العسكري هذه الصورة فقال : (٤) " قال أبوعمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إنّ العُيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتّى لا حَراكَ بِهِ ... وهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ اللّهِ أرْكانا

وقال آخر قول ذى الرمة :

وَعَيْنانِ قالَ اللّهُ كونا فكانَتا ... فعولانِ بالألْبابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ

وقال آخر بل قوله :

يُذَكِّرُني مَيّاً من الظَّبْيِ عَيْنُهُ ... مِراراً وفاها الأقْحُوانُ المُنَوَّرُ

---

(١) الاغاني ٩ : ٣٠٦ .
(٢) الاغاني ٩ : ٣٠٥ .
(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٢ .
(٤) ديوان المعاني ١ : ٢٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال أبوعمرو: أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع :

وكأنّها بينَ النِّساءِ أعارَهـــا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جآذِرِ جاسِمِ
وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليسَ بنائِـــمِ

وذكر القالي أن كل من يصف عيني امرأة يحتاج إلى قول عدي السابق (١) .
وأما الثعالبي فلم يسمع للمتقدمين شعراً في الغزل أملح وأطرف وأغنج من قول عدي في تشبيه المرأة بالظبي الوسنان الذي هو بين النائم واليقظان (٢) .

ومن الصور التي استحسنها الأصفهاني صورة بكاء الحمام التي أوردها عدي في مقطوعته السينية (٣) ،وقد عدّها الحسن اليوسي من مستحسن ما للأولين (٤) :

قال أعرابي للأصمعي : ألا تنشدني يا أصمعي شعراً ترتاح إليه النفس،ويسكن إليه القلب . فأنشده قول عدي بن الرقاع : (٥)

وناعِمَةٍ تَجْلو بعودٍ أَراكَـــةٍ ... مُؤَشَّرَةً يسبي المُعانِقَ طيبُها
كَأَنَّ بِها خَمْراً بماءِ غَمامَـــةٍ ... إذا ارْتُشِفَتْ بَعْدَ المَنامِ غُروبُها
أَراكَ إلى نَجْدٍ تَحِنُّ وإنَّمـــا ... مُنى كُلِّ نَفْسٍ حيثُ كانَ حَبيبُها

وعدّ المبرد من التشبيه المليح قول عدي : (٦)

وكأنَّ سُعْدى إذْ تُوَدِّعُنـــا ... وقد اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أنْ يَكِفَـــا
رَشَأٌ تَواصَيْنَ القِيانُ بِـــهِ ... حتّى عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفَـــا

---

(١) الأمالي ١ : ٥١١ .
(٢) الثعالبي : خاص الخاص ص ٨٣ .
(٣) الزهـــرة ١ : ٣٣٣ .
(٤) الحسن اليوسي : زهر الاكم في الامثال والحكم ٢ : ١٦٨ .
(٥) زهر الآداب ١ : ٤٠٢ ،زهر الاكم في الامثال والحكم ٢ : ١٢١ .
(٦) الكامل في اللغة والادب ٢ : ٩٢ ،رغبة الامل ٧ : ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الصور الغزلية الجميلة التي أُعجب النقاد بها قول عدي :

يَصْطادُ يَقظانَ الرِّجالِ حَديثُها ... وتَطيرُ بَهْجَتُها بِروحِ الحالِمِ

فقد أورد استعارتين في هذا البيت، إذ جعل حديثها يصطاد، وبهجتها تطير بروح الحالم، فنعتها الشريف المرتضي (١) والآمدي (٢) بالحسن.

ونعت المبرد قول عدي : (٣)

إِلَيكَ رَمَتْ بالقَوْمِ خُوصٌ كَأَنَّما ... جَماجِمُها فَوْقَ الحِجاجِ قُبورُ

بأنه تشبيه جيّد واستطرف قوله : (٤)

تُعاطيكَها كَفٌّ كَأَنَّ بَنانَها ... إِذا اعْتَرَضَتْها العَيْنُ صَفُّ مَداري

وعدّه من التشبيه الحسن.

وقال أبو بكر محمد بن الحسن عن مقطوعة عدي اللامية :

هَلْ أَنْتَ مُنْصَرِفٌ فَتَنْظُرَ ما تَرى ... أَبْقَى الحَوادِثُ مِنْ رُسُومِ المَنْزِلِ

إنّها من أحسن ما خوطبت به الديار (٥).

واعتبر الأصمعي وابن الشجري قافيته التي يقول فيها :

فَقُمْتُ أُخْبِرُهُ بالغَيْثِ لَمْ يَسَرَهُ ... والبَرْقُ إِذْ أَنا مَحْزونٌ لَهُ أَرِقُ

أحسن ما قيل في وصف البرق والغيث (٦).

---

(١) الشريف المرتضى : طيف الخيال ص ٢٢٨.
(٢) الموازنة ص ١٨٦.
(٣) الكامل في اللغة والادب ٢ : ٩٥، رغبة الامل ٧ : ٥١.
(٤) الكامل في اللغة والادب ٢ : ٩٢، رغبة الامل ٧ : ٥٠.
(٥) الانوار ومحاسن الاشعار ٢ : ٤١.
(٦) الحماسة الشجرية ٢ : ٧٨٣، الازمنة والامكنة ٢ : ٢٤٤، التصحيف والتحريف ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتجلى براعة عديّ الفنية وإبداعه في رسمه لصورة الغبار المثار نتيجة لعراك حماري الوحش وعدوهما ،فأطلق النقّاد عبارات الإعجاب والثناء على هذه الصورة الطريفة البارعة ،فالمرزباني يعتبرها ممّا يستحسن من قول عدي (١) ، والعسكري لا يعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من قول عديّ ،وقال عنه : " أبرع استعارة وأنصع عبارة "(٢). واختصّ عدي بهذه الصورة ، ولم يشاركه فيها أحد ،إذ يقول أبو تمام الطائي : (٣)

تُثيرُ عَجاجَةً في كُلِّ ثَغْرٍ ... يَهيمُ بِها عَديُّ بنُ الرِّقاعِ

وهكذا نجد أحكاما مختلفة أطلقها النقّاد على شعر عديّ ،فاستحسنوا كثيراً من صوره وتشبيهاته ،وعدوها فريدة في نوعها ، وأعجبوا بها ،وهم بذلك يمثلون ذوقهم وذوق عصرهم واختلاف مذاهبهم في النقد ،وقد نتّفق معهم أو نختلف ،ولكن ما قصدنا إليه هو بيان جملة من تشبيهاته واستعاراته التي اشتهر بها ،وبيان ما حظي به شعره من اهتمام النقاد ،ونظرهم فيه ، ودراستهم له ،وتقديرهم لشاعريته . وفي نماذج شعره التي أوردناها في دراستنا لأغراض شعره أمثلة وافرة لهذه الضروب من التصوير التي أظهر في كثير منها براعته واقتداره على رسم صوره .

---

(١) معجم الشعراء ص ٧٨

(٢) ديوان المعاني ٢: ١٣١

(٣) زهر الآداب ٢: ٩٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

حاولت في هذا البحث أن أدرس حياة شاعر أهل الشام عديّ بن الرقـــاع وشعره ، وهو من أكبر شعراء الشام في العصر الأموي . وقبل أن أبدأ بدراسة حياتـه وشعره ،كان لا بدّ لي من الوقوف عند قبيلته " عاملة " والحديث عنها ، فهي قبيلـــة قحطانية يمانية ،هاجرت من اليمن إثر انهيار سد مأرب، فاستقرّ أكثر أبنائها في بـــلاد الشام ، وهاجر قسم منهم إلى الحيرة ، وقد رجّح عندي ضعف نسبتها إلى مضـــر .

وخضعت " عاملة " في الجاهلية لسلطان القياصرة ، ووقفت إلى جانبهم فـــي حروبهم مع المسلمين ،ودان قسم من أبنائها بالنصرانية ،وعبد آخرون الأصنام . وبعـــد دخولها في الإسلام لعبت عاملة وأخواتها من القبائل اليمانية دوراً مهماً في الحيـــاة السياسية ،إذ ساندت بني أمية في حروبهم مع أعدائهم ، ودعمت خلافتهـــم .

واعتمدت في دراسة حياة عديّ على الأخبار التي عثرت عليها ،وحاولت أن أجلو بعض الغموض الذي يكتنفها ،بما ورد في شعره من معلومات مفيدة . وتبيّن لي أن ولادته كانت في منطقة " بَيْسان " من الأردن في نهاية العقد الثالث أو بداية العقد الرابـــع من القرن الأول الهجري ،وقد نشأ في تلك المنطقة ،وكان يتنقّل منها إلى بقيـــــة المناطـــق .

وفي سبيل تحديد ملامح شخصية عديّ تعرضت لصفاته ،وتحدّثت عن أخلاقـــه التي أثرت عنه ، وكانت وفاته في خلافة عمر بن عبد العزيز ،ولا يستبعد أن تكون فـــي حدود سنة ١٠١ للهجـــرة .

وفي حديثي عن علاقات عدي ومواقفه بدا لي أنه لم يحظ بمنزلة عالية عنـــد عبد الملك بن مروان كالتي احتلها عند ابنه الوليد الذي آثره على غيره واحتفل بـــه ، وأجزل له العطاء . وكانت علاقته بسليمان بن عبد الملك ضعيفة ، وكان على علاقة طيـــة بعمر بن عبد العزيز ، فمدحه ونال جائزته ، أما صلته مع معاصريه من الشعراء فتميـــزت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحسد والتنافس ، إذ تعرّض له جرير مرّات كثيرة في مجلس الوليد بن عبد الملك ليهجوه ويحطّ منه ، وحاول كثير عزّة النيل منه ،وهجاه الراعي النميري ،ويحيى بن أبي حفصة الأموي ،وأبو القمقام بحر بن السقا .

ولمّا فرغت من بسط هذه المسائل التي حدّدت سيرة حياته واتصلت بشعره اتصالاً مباشراً ،درست أغراض شعره ،فظهر لي أنه صرف عنايته إلى فن المدح الذي قامت عليه شهرته ، فخصّ الوليد بن عبد الملك بأكثر مدائحه ،ومدح ابنه عمر، كما مدح عمر بن عبد العزيز. وشارك شعراء بني أمية مشاركة قوية في المناداة بمذهب الجبر الذي كان الأمويون أنفسهم ينادون به ،ودافع عن حقهم في الخلافة ،ونعتهم بالصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين والشجاعة والحزم والكرم. فكان بحق شاعر بني أمية كما نعته الوليد .

وأما مدحه لرجالات عصره فاختلف عن مدحه لخلفاء بني أمية ،إذ اقتصر فيه على ذكر مناقبهم العربية ، وعراقة النسب والشجاعة .

ولم يفرد عديّ للغزل قصائد خاصة ، وكان غزله مادياً ، لم يخرج عن قواعد الحياء والعفّة ، فوصف جمال المحبوبة وشبّهها بالغزال في رقّتها ، ووصف ريقها وعينيها وبشرتها ، وتحدّث عن حياة النعيم والترف التي عاشها مع المرأة .

وكان لفنّ الوصف حظّ وافر في شعره ،فوصف الأطلال وما حلّ بها بعد أن هجرها أصحابها ،وبيّن صعوبة تعرّفه عليها بسبب اندثار معالمها ، وقد ألمّ بمعظم عناصر الطلل التقليدية في شعره ،ووصف بيئة الشام ومناظرها الجميلة الخلّابة ، فظهر أثر هذه البيئة في شعره بشكل واضح .

ووصف رحلة الظعن ، فتحدّث عن ألم الفراق الذي أصابه بسبب رحيل صاحبته ، وعرض لحيوان الصحراء ، فتحدّث عن الناقة ،وعدّد صفاتها ، ووصف أجزاءها وصفاً دقيقاً ،وشبّهها بحمار الوحش تارة ،وبالقطا تارة أخرى ، ليدلّل على صلابتها وقوّتها ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدّث عن الشباب والشيب ووصف الخمر وصفا حسيّاً ماديّاً ، كما وردت في شعـــــره بعض المواعظ والحكم بشكل عفـــوي .

وفي دراستي لخصائص شعره الفنية استقام لي أنّه لم يخرج في بناء قصيدتـــه على أساليب القدماء ،إذ التزم بعناصر البناء التقليدية المختلفة التزاماً كبيراً ، فكـــان يبدأ قصائده بالمقدّمات الطللية في أغلب الأحيان ،ثم ينتقل إلى الموضوع الاساســـي الذى أنشأ القصيدة من أجله ،وكان يحسن التخلّص من موضوع إلى موضـــوع .

وتراوحت لغته بين السهولة والغموض ،فكانت تسهل في المدح والغزل ،وتصعب في حديثه عن حيوان الصحراء . وقد أكثر من استخدام الصور الفنيّة متّكئاً على التشبيه والمحسّنات اللفظية كالطباق والجناس والتقسيم ، دونما إسراف وتكلّـــف .

ولعديّ صور تشبيهية جميلة انتزعها من البيئة التي عاش فيها ،وهي تدلّ علـــى مقدرته الكبيرة في تشكيل الصور الشعرية ، فجمع فيها كلّ ما يمكن أن يجمع في الصـــور الفنيّـــة المتقنـــة .

وصدرت آراء وأحكام نقديّة كثيرة حول شعره ، أشادت في معظمها بموهبتـــه الشعريّة وصوره الفنيّة ، واعترف له النقّاد بجمال صوره وعدّوا بعضها فريداً في نوعـــه وأعجبوا بهـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة :

- ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسين (- ٥٧١ هـ)
تاريخ دمشق .
مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

- الكتبي : محمد بن شاكر (- ٧٦٤ هـ)
عيون التواريخ
مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر المطبوعـــــة :

- القـــرآن الكريـــــم .

- الآمـدي : أبو القاسم الحسن بن بشر (- ٣٧٠هـ)

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - تحقيق السيد أحمد صقـر .
دار المعارف بمصـــر ١٩٦١ .

(٢) المؤتلف والمختلف - تحقيق عبد الستار فراج .
دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٦١ .

- ابن الأثـير : عز الدين علي بن محمد الجزري (- ٦٣٠ هـ)

(١) الكامل في التاريـخ
دار صادر ،بيروت ١٩٨٢ .

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب
مكتبة القدسي ،القاهرة ١٣٥٦ هـ .

- ابن الأثـير :ضياء الدين نصرالله بن محمد (- ٦٣٧هـ)

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور - تحقيق مصطفـــى جواد وجميل سعيـــد
المجمع العلمي العراقي ،بغداد ١٩٥٦ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق محمد محي الديـــــن عبد الحميد
البابي الحلبي ،القاهرة ١٩٣٩ .

- ابن الأثـير : مجد الدين المبارك بن محمد (- ٦٠٦ هـ)
المرصـع - تحقيق د . ابراهيم السامرائي
مطبعة الإرشاد ،بغداد ١٩٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأحوص بن محمد الأنصاري
شعر الأحوص - جمع وتحقيق د . إبراهيم السامرائي
مكتبة الأندلس ،بغداد ١٩٦٩ .

- الأزهري : أبو منصور (- ٣٧٠ هـ)
تهذيب اللغة - تحقيق عبد السلام محمد هارون
الدار المصرية للترجمة والنشر ،القاهرة ١٩٦٤ .

- الأسود الغندجاني : أبو محمد الأعرابي
أسماء خيل العرب وفرسانها - تحقيق محمد علي سلطان
دمشق ١٩٨١ .

- الأصفهاني : أبو بكر محمد بن داود (- ٢٩٧ هـ)
الزهرة - تحقيق د . إبراهيم السامرائي
مكتبة المنار ،الزرقاء ١٩٨٥ .

- الأصفهاني : حمزة بن الحسن (- ٣٥١هـ)
الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة - تحقيق عبد المجيد قطامش
دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

- الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (- ٣٥٦ هـ)
الاغاني - تحقيق عبد الستار أحمد فراج
دار الثقافة ،بيروت ١٩٥٥ - ١٩٦٤ .

- ابن أعثم : أحمد الكوفي (- ٣١٤ هـ)
كتاب الفتوح
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدرآباد ١٩٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الاعشى : ميمون بن قيس
ديوان الاعشى - تحقيق د . محمد محمد حسين
مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣ .

- ابن باقيا البغدادي (- ٤٨٥ هـ)
الجمان في تشبيهات القرآن - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
دار الجمهورية ،بغداد ١٩٦٨ .

- البحتري :أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (- ٢٨٤هـ)
حماسة البحتري - تحقيق كمال مصطفى
المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٢٩ .

- البسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان (- ٢٧٧هـ)
المعرفة والتاريخ - تحقيق أكرم ضياء الدين العمري
مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨١ .

- البصري: صدرالدين علي بن أبي الفرج بن الحسين (- ٦٥٦هـ)
الحماسة البصرية
عالم الكتب ،بيروت ١٩٦٣ .

- البغدادي: عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ)
شرح أبيات مغني اللبيب - تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق
دار المأمون للتراث ،دمشق ١٩٧٣ .

- ابن بكار : الزبير (- ٢٥٦ هـ)
الأخبار الموفقيات - تحقيق سامي مكي العاني
رئاسة ديوان الأوقاف ،بغداد ١٩٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (- ٤٨٧ هـ)

(١) سمط اللآلي - تحقيق عبد العزيز الميمني
لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦ .

(٢) معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ .

- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (- ٢٧٩ هـ)

(١) أنساب الأشراف : الجزء الأول - تحقيق محمد حميد الله
دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

(٢) أنساب الأشراف : الجزء الرابع، القسم الثاني
مطبعة الجامعة ، القدس ١٩٣٨ .

(٣) أنساب الأشراف : الجزء الخامس
مكتبة المثنى ، بغداد

(٤) فتوح البلدان - تحقيق عبد الله الطباع وعمر الطباع
دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ .

- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد (- ٤٤٠هـ)
الآثار الباقية عن القرون الخالية
ف.أ. بروك هاوس ، ليبزج ١٩٢٣ .

- أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١هـ)

(١) ديوان الحماسة - تعليق محمد عبد المنعم خفاجي
مكتبة صبيح ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٢) نقائض جرير والأخطل - تعليق أنطوان صالحاني اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) الوحشيات - تحقيق عبد العزيز الميمني
دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

- التيفاشي : أبو العباس أحمد بن يوسف
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس - تحقيق د . إحسان عباس .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ١٩٨٠ .

- الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (- ٤٢٩هـ)
(١) الإعجاز والإيجاز - شرح اسكندر آصف
المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧ .

(٢) خاص الخاص - تصحيح محمود السكري
مطبعة السعادة ،القاهرة ١٩٠٨ .

- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (- ٢٥٥ هـ)
(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان - تحقيق محمد مرسي الخولي
مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨١ .

(٢) البيان والتبيين - تحقيق فوزي عطيوي
الشركة اللبنانية للكتاب ،بيروت ١٩٦٨ .

(٣) الحيوان - تحقيق عبد السلام محمد هارون
مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨ .

- الجرجاني : علي بن عبد العزيز بن الحسن (- ٣٩٢هـ)
الوساطة بين المتنبي وخصومه - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي
دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجرجاني : أبو العباس أحمد بن محمد (- ٤٨٢هـ)
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء - تحقيق محمد بدر الدين النعساني
مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٨.

- جرير بن عطية الخطفي (- ١١٠هـ)
ديوان جرير - تحقيق نعمان محمد أمين طه
دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩.

- الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد (- ٣٩٣هـ)
الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار
دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤.

- الحاتمي : محمد بن الحسن بن المظفر (- ٣٨٨)
حلية المحاضرة في صناعة الشعر - تحقيق د. جعفر الكتاني
دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٧٩.

- حازم القرطاجني (- ٦٨٤هـ)
منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه
دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٦٦.

- ابن الحائك الهمداني : لسان اليمن الحسن بن أحمد
صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد بن علي الاكوع
دار اليمامة ، الرياض ١٩٧٤

- الحريري : أبو محمد القاسم بن علي (- ٥١٦هـ)
درة الغواص في أوهام الخواص
مكتبة المثنى ، بغداد - طبعة أوفست عن طبعة ليبزج ١٨٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن حزم : أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (- ٤٥٦هـ)
جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبد السلام محمد هارون
دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

- حسان بن ثابت الأنصاري (- ٥٤ هـ)
شرح ديوان حسان - ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي
دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨١ .

- الحصري : أبو إسحق إبراهيم بن علي القيرواني (-٤٥٣هـ)
زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق محمد علي البجاوى
دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٥٣ .

- الحلبي : شهاب الدين محمود (- ٧٢٥هـ)
حسن التوسل إلى صناعة الترسل - تحقيق أكرم عثمان يوسف
دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ .

- الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم (-٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد بن هاشم (-٣٩١هـ)
المختار من شعر بشار - تصحيح وتعليق محمد بدر الدين العلوى
لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ١٩٣٤ .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (- ٨٠٨ هـ)
تاريخ ابن خلدون
دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ .

- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (-٦٨١هـ)
وفيات الأعيان - تحقيق د. إحسان عباس
دار صادر ،بيروت ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن خياط: خليفة بن خياط العصفرى (- ٢٤٠هـ)
تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق أكرم ضياء العمرى
مطبعة الآداب ، النجف ١٩٦٧.

- ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (- ٣٢١هـ)
الاشتقاق - تحقيق عبد السلام محمد هارون
مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ١٩٥٨.

- الدينوري : أبوحنيفة أحمد بن داود (- ٢٨٢هـ)
الأخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر
دار المسيرة ،بيروت ١٩٥٩.

- الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (- ٧٤٨هـ)
سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرنؤوط
مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٢.

- الرازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان (-٣٢٢هـ)
الزينة في الكلمات الإسلامية العربية - تعليق حسين بن فيض الله الهمداني
كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ١٩٥٨.

- الراعي النميرى
ديوان الراعي النميرى - تحقيق راينهرت فابيرن
المركز الألماني للأبحاث الشرقية ،بيروت ١٩٨٠.

- ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (- ٤٥٦هـ)
العمدة - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزبيـــدي : محب الدين محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)
تاج العروس - تحقيق عبد العزيز مطر وآخـرون
مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٠.

- الزبيـــري : ابو عبد الله المصعب بن عبد الله (- ٢٣٦هـ)
نسب قريش - تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال
دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٥٣.

- الزمخشري : محمود بن عمر (- ٥٣٨هـ)
(١) أساس البلاغـــة
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٢.
(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - تحقيق سليم النعيمي
مطبعة العاني ،بغداد ١٩٧٦.

- زهير بن أبي سلمى
ديوان زهير - تحقيق كرم البستاني
دار صادر ،بيروت ١٩٦٠.

- ابن سعـد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (- ٢٣٠هـ)
الطبقات الكبرى - تصحيح ستر ستين
مطبعة بريل ،ليدن ١٣٢٢هـ.

- ابن سلام : ابوعبد الله محمد بن سلام الجمحي (- ٢٣١هـ)
طبقات الشعراء
مطبعة بريل ،ليدن ١٩١٣.

- السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور(-٥٦٢هـ)
الأنساب - تحقيق محمد عوامـه
نشر محمد أمين دمج ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن سيده : أبوالحسن علي بن إسماعيل (-٤٥٨هـ)
المحكم والمحيط الأعظم في اللغة - تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة ١٩٥٨ .

- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (- ٩١١ هـ)
(١) تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد
بيروت .

(٢) شرح شواهد المغني
لجنة التراث العربي ،دمشق ١٩٦٦ .

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون .
دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٢٦هـ.

- ابن الشجري : أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد (-٥٤٢هـ)
الحماسة الشجرية - تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي
وزارة الثقافة ،دمشق ١٩٧٠ .

- الشريشي : أبوالعباس أحمد بن عبدالمؤمن (٦١٩هـ)
شرح مقامات الحريرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
المؤسسة العربية الحديثة ،القاهرة ١٩٦٩ .

- الشريف المرتضى : علي بن الحسين الشريف المرتضى (- ٤٣٦هـ)
(١) أمالي المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٥٤ .

(٢) طيف الخيال - تحقيق حسن كامل الصيرفي
دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الشمشاطي : أبوالحسن علي بن محمد العدوي (- ٣٧٧هـ)
الأنوار ومحاسن الأشعار - تحقيق السيد محمد يوسف
وزارة الإعلام ،الكويت ١٩٧٧.

- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (- ٧٦٤هـ)
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٩٦٩.

- الصغاني : الحسن بن محمد (- ٦٥٠هـ)
(١) التكملة والذيل والصلة - تحقيق عبد العليم الطحاوي
دار الكتب ،القاهرة ، ١٩٧٠

(٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر - تحقيق محمد حسن آل ياسين
دار الرشيد ،بغداد ، ١٩٨١.

- الصولي : أبوبكر محمد بن يحيى (- ٣٣٥هـ)
أخبار أبي تمام - تحقيق خليل محمود عساكر وآخرون
دار الآفاق الجديدة ،بيروت ١٩٨٠.

- ابن طباطبا : أبوالحسن محمد بن أحمد العلوي (- ٣٢٢هـ)
عيار الشعر - تحقيق عباس عبد الساتر
دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٨٢.

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (- ٣١٠هـ)
تاريخ الأمم والملوك - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم
دار سويدان ،بيروت ١٩٦٧.

- طرفة بن العبد
ديوان طرفة - تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العاملي : بهاء الدين محمد (-١٠٣١هـ)
(١) الكشكول - تحقيق طاهر أحمد الزاوي
دار إحياء الكتب العربيـــة .

(٢) الخـــلاء
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧ .

- ابن عبد ربه : أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (-٣٢٨هـ)
العقد الفريـــد - تحقيق محمد سعيد العريان
دار الفكر ١٩٤٠ .

- ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالله (-٤٦٣هـ)
(١) الإنباه على قبائل الرواة
مكتبة القدسي ،القاهرة ١٣٥٠هـ.

(٢) بهجة المجالس - تحقيق محمد مرسي الخولي
دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٨٢ .

- أبو عبيدة معمر بن المثنى (-٢٠٧ أو ٢١٣هـ)
(١) كتاب الخيـل -
مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،حيدرآباد الدكن ١٣٥٨هـ.

(٢) نقائض جرير والفرزدق
مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٧ .

- ابن عساكر: ابوالقاسم علي بن الحسين (-٥٧١هـ)
تاريخ دمشـق : الجزء الأول - تحقيق صلاح الدين المنجد
المجمع العلمي العربي ،دمشـق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العسكري : أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد (-٣٨٢هـ)
التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه
مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٩٠٨ .

- العسكري : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (-٣٩٥هـ)
(١) ديوان المعاني
مكتبة القدسي ،القاهرة ١٩٣٣ .

(٢) الصناعتين ،تحقيق البجاوي وأبي الفضل
دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ١٩٥٢ .

- الغزولي : علاء الدين بن عبدالله (-٨١٥هـ)
مطالع البدور في منازل السرور
مطبعة دار الوطن ، ١٣٠٠هـ

- الفيروز أبادي : مجدالدين محمد بن يعقوب (-٨٢٣هـ)
القاموس المحيط
المؤسسة العربية ،بيروت ١٩٥٢ .

- القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم (-٣٥٦هـ)
الأمالي
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ .

- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (-٢٧٦هـ)
(١) الأنواء
مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدرآباد الدكن ١٩٥٦ .

(٢) الشعر والشعراء
دار إحياء العلوم ،بيروت ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) عيون الاخبار
دار الكتاب العربي ،بيروت ،صورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٨ .

- قدامة بن جعفر (- ٣٣٧هـ)
(١) الخراج وصناعة الكتابة - تحقيق محمد حسين الزبيدي
دار الرشيد للنشر،بغداد ١٩٨١ .

(٢) نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى
مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٣ .

- القلقشندي : أبوالعباس أحمد بن علي (-٨٢١هـ)
(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٢) قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان - تحقيق إبراهيم الإبياري
دار الكتب الحديثة ،القاهرة ١٩٦٣ .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق إبراهيم الإبياري
الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩ .

- القيرواني : عبدالكريم النهشلي
الممتع في صناعة الشعر - تحقيق محمد زغلول سلام
منشأة المعارف ،الإسكندرية ١٩٧٧ .

- كثير بن عبدالرحمن بن الأسود (- ١٠٥هـ)
ديوان كثير عزة - جمع وشرح د . إحسان عباس
دار الثقافة ،بيروت ١٩٧١ .

- كعب بن زهير بن أبي سلمى (-٢٦هـ)
شرح ديوان كعب صنعة السكري
دار الكتب ،القاهرة ١٩٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الكلبي : هشام بن محمد بن السائب (-٢٠٤هـ)
الأصنام - تحقيق أحمد زكي
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .

- لبيد بن ربيعة (- ٤١هـ)
شرح ديوان لبيد - تحقيق د . إحسان عباس
وزارة الإرشاد ، الكويت ١٩٦٢ .

- ابن ماكولا : أبو نصر علي بن هبة الله (- ٤٧٥هـ)
الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب
تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني
مطبعة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ١٩٦٣ .

- المبرد : أبوالعباس محمد بن يزيد (- ٢٨٥هـ)
(١) الكامل في اللغة والأدب
مطبعة الإستقامة ، القاهرة ، ١٩٥١ .

(٢) نسب عدنان وقحطان - تحقيق عبد العزيز الميمني
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الهند ١٩٣٦ .

- المخيري : أبوعبد الرحمن بن حمد بن زيد
المنتخب في ذكر قبائل العرب - تحقيق إبراهيم محمد الأصيل
مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٢ .

- المرزباني : أبوعبد الله محمد بن عمران (- ٣٨٤هـ)
(١) معجم الشعراء - تحقيق عبد الستار فراج
دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٢) نور القبس المختصر من المقتبس - تحقيق رودلف زلهايم
دار فرانتس شتايز ، فيسبادن ١٩٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المرزوقي : أبوعلي أحمد بن الحسن (- ٤٢١هـ)
الأزمنة والأمكنة
مطبعة مجلس دائرة المعارف ،حيدآباد الدكن ١٣٣٢هـ .

- المرصفي : سعيد بن علي (- ١٣٤٩هـ)
رغبة الامكن من كتاب الكامل
مطبعة النهضة ،القاهرة ١٩٢٧.

- المسعودي : ابوالحسن علي بن الحسين بن علي (- ٣٤٦هـ)
(٢)التنبيه والإشراف - تصحيح عبدالله إسماعيل الصاوي
دار الصاوي ،القاهرة ١٩٣٨.

(٢) مروج الذهب
دار الأندلس ،بيروت ١٩٦٦.

- ابن المعتز : أبو العباس عبدالله بن المعتز بالله (- ٢٩٦هـ)
البديع - تحقيق أفناطيوس كراتشكوفسكي
دار المسيرة ،بيروت ١٩٨٢.

- ابن معصوم : علي بن أحمد (- ١١٢٠هـ)
أنوار الربيع - تحقيق شاكر هادى شاكر
مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٦٨.

- المقدسي : شمس الدين أبوعبدالله محمد بن مفلح
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
مكتبة خياط ،بيروت (نسخة مصورة عن طبعة بريل ١٩٠٦).

- ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين بن مكرم (- ٧١١هـ)
لسان العرب
دار صادر ،بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن منقـذ : أبو المظفر أسامة بن مرشد الكنانـي (- ٥٨٤هـ)
المنازل والديار
المكتب الإسلامي ،دمشق ١٩٦٥.

- مؤلف مجهول
مجموعة المعانـي
مطبعة الجوائب ،القسطنطينية ١٨٨٣.

- النابغة الذبياني : زياد بن معاوية
ديوان النابغة - تحقيق كرم البستاني
دار صادر ،بيروت ١٩٦٠.

- النويـري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (- ٧٣٣هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب
لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة
(نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب).

- الواقـدي : محمد بن عمر بن واقد (- ٢٠٧هـ)
المغازي - تحقيق مارسدن جونس
مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

- ياقوت الحموي : أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله (- ٦٢٦هـ)
معجم البلـدان
مكتبة الأسدي ،طهران ١٩٦٥.

- اليعقوبـي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(- ٢٩٢هـ)
تاريخ اليعقوبي
دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- اليوسي : الحسن
زهر الأكم في الأمثال والحكم
دار الثقافة ،الدار البيضاء ١٩٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع الحديثة :

- إحسان النص
العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي
دار الفكر ١٩٧٣.

- إيليا حاوي
فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب
دار الثقافة ،بيروت .

- د .جميل سعيد
تطور الخمريات في الشعر العربي
مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ١٩٤٥.

- جواد علي
المفصل في تاريخ العرب
دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٧٨.

- د .حسين عطوان
(١) شعراء الدولتين الأموية والعباسية
دار الجيل ،بيروت ١٩٨١.

(٢) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي
دار المعارف بمصر ١٩٧٤.

(٣) الوليد بن يزيد : عرض ونقد
دار الجيل ،بيروت ١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- خليل مردم بـــك
شعراء شاميون - تحقيق عدنان مردم
دار صادر ،بيـروت .

- خير الدين الزركلـي
الأعـــــلام
دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٧٩ .

- شوقي ضيـف
(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي
دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي
دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .
(٣) الشعر الإسلامي
دار المعارف بمصر ١٩٨١ .

- عبد العزيز محمد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم
شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الأموي
كلية اللغة العربيـة بالرياض ١٩٧٢ .

- عبد العزيز الميمنـــي
الطرائف الأدبيـــة
دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٣٧ .

- د .عبد القادر القـط
في الشعر الإسلامي والأموي
دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عمر رضا كحالـة
معجم المؤلفين
دار إحياء التراث ،بيروت١٩٥٧ .

- عمـر فـــروخ
تاريخ الأدب العربـي
دار العلم للملايين ،بيـروت .

- فيليـب حـتى
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة كمال اليازجي
دار الثقافة ،بيروت ١٩٥٩ .

- د . كامل سلامة الدقس
وصف الخيل في الشعر الجاهلي
دار الكتب الثقافية ،الكويت ١٩٧٥ .

- مجموعة من أدباء الأقطار العربيـة
الفخر والحماسـة
دار المعارف ،القاهرة

- محسن الأمين العاملي
خطط جبل عامل - تحقيق حسن الأمين
مطبعة الإنصاف ،بيروت ١٩٦١ .

- محمد ضياء الدين الريس
عبد الملك بن مروان والخلافة الأمويـة
مطابع سجل العرب ،القاهرة ١٩٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد عبد العزيز الكفراوى
تاريخ الشعر العربـــي
مكتبة نهضة مصر ،القاهـــرة .

- محمد كرد علـــي
خطط الشـــام
دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٨٣ .

- د .محمد محمد حسين
أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين
دار النهضة ،بيروت ١٩٧٢ .

- د . مصطفى الشكعـــة
رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية
عالم الكتب ،بيـــروت ١٩٧٩ .

- د . نبيـــه عاقـــــل
خلافة بني أميـــة
دمشق ١٩٧٢ .

- د . نصرت عبد الرحمن
(١) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ
مكتبة الأقصى ،عمان ١٩٧٧ .

(٢) الصور الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث
مكتبة الأقصى ،عمان ١٩٨٢ .

- د .نورى حمودى القيســـي
الطبيعة في الشعر الجاهلـــي
دار الإرشاد ،بيروت ١٩٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- د . وهيب روميـــة
قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأمـوي
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق ١٩٨١ .

- د .ياسين الأيوبـــي
معجم الشعراء لسان العـــرب
دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٨٠ .

- د . يحيى الجبـــوري
الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونـــه
دار التربية ،بغداد ،١٩٧٢ .

- د . يوسف حسين بكار
بناء القصيدة العربية
دار الثقافة ،بيروت ١٩٧٩ .

- د . يوسف العـــــش
الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهّدت لها ابتداء من فتنة عثمان
مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوريـــــات :

- مجلـة الأزهـــر ، المجلد الثاني والعشرون
مطبعـة الأزهـر ، ١٩٥٠ .

- مجلـة مجمع اللغة العربيـة بدمشـــق ، المجمع العلمي العربي
مطبعـة ابن زيـدون ، دمشـــق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The University of Jordan
Faculty of Arts
Department of Arabic

Adiy Bin Al-Riq a' Al-Aamily:
His Life and Poetry

By

Tahsin M. Al-Salah

Supervisor

Professor Husein Atwan

" This thesis has been submitted in partial fulfillment of the requirments for the degree of Master of Arts, in Arabic at Faculty of Arts, University of Jordan,"
1986

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

Adiy Bin Al-Riq·a' Al-'Aamily: A Study of the Poet and His Poetry.

This thesis deals with the topic from four perspective points of discussion.

It first deals with the position and role of the poet's tribe- 'Aamilah. Tracing the tribe's position from the pre-Islamic era to the Omayad dynasty's rule of the muslim state, the study then presents an integrated biographical portrait of the poet himself.

The second chapter presents an analysis of the poet's status in the Omayad Court. Also, it discusses the poet's relationship with his contemporaries of poets, which was characterized by a serious competition and criticism.

The third chapter is an analysis of the functions and themes of 'Adiy's poetry.

The fourth chapter deals with the characteristics of 'Adiy's poetry from both the structural and esthetic perspectives.

The study concludes with a review of the different viewpoints dealing with Adiy's poetry and talent.

٢٢٥٥٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit